



اسم المقال: الاتصال الوجداني "دراسة تحليلية في منهج النبي "التربوي"

اسم الكاتب: أ.د. نصار أسعد نصار

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/index.php/library/10245>

تاريخ الاسترداد: 2026/05/12 00:57 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>



الاتصال الوجداني

"دراسة تحليلية في منهج النبي " التربوي "

أ.د. نصار أسعد نصار¹

1. أستاذ دكتور - قسم علوم القرآن والحديث - كلية الشريعة - جامعة دمشق

المُلخَص:

للشخصية الإنسانية أربعة جوانب رئيسية: مادي يقابله روحي، وعقلي ويقابله وجداني، أمّا المادي، فيمثل مَرَكَب الشخصية وهيكلها الحامل، أمّا الرّوح، فمحركها ومصدر الحياة فيها، أمّا العقل، فالحاكم فيها وصاحب القرار، أمّا الوجدان، فأمين سرّها والمستشار فيها. ولا جُرم أكبر من خيانة المؤتمن وغش المستشار. فإنّ أحسنَ توظيف الجانب الوجداني أسهم في بناء شخصية إيجابية، وإلا كان معول هدم وعنصر إفساد. وقد تجلّت في المنهج التربوي النبوي أرقى أشكال التّفعيل الوجداني وأروع صور التّفاعل.

الكلمات المفتاحية : الاتصال الوجداني، منهج النبي، التربوي.

تاريخ الإبداع: 2022/1/6

تاريخ القبول: 2022/11/22



حقوق النشر : جامعة دمشق -

سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق

النشر بموجب الترخيص

CC BY-NC-SA 04

Pedagogical methods of communication (emotional communication)

Prof: Nassar Asaad Nassar¹

1. Professor in the Department of Hadith and Quran Scienceskwh

Abstract:

Of the human personality aspects of the four major categories: physical offset by the spiritual, mental and emotional offset, and the material, represents a composite of personal and general structure, and the spirit, Vmahrkha and source of life, and mind, the ruler and the decision maker, and conscience, Famin pleased by the Chancellor. No offense greater than the betrayal of fiduciary fraud advisor. Employment, the best emotional side contributed to building a positive personality, and only the destructive element and an element of corruption. Has manifested itself in the educational curriculum, the Prophet, the most prestigious forms of activation, the finest emotion emotional pictures.

Keywords: The Method Of The Prophet, Educational Emotional Communication,

Received: 6/1/2022

Accepted: 22/11/2022



Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

المقدمة:

الاتصال الوجداني أحد ثلاثة أبحاث في طرق الاتصال التربوي في المنهج النبوي
أولها: الاتصال السمعي والبصري، وثانيها: الاتصال الفكري، وهذا ثالثها قصدت منها بيان منهج النبي التربوي في
الاتصال مع الآخرين؛ فمناهج التربية متعددة ومتنوعة، فمنها القديم والحديث، ومنها الموروث، ومنها الواصل. وتعيش
الأمة اليوم على مفترق طرق، بين مستغرب يدعو إلى نبذ الموروث الفكري، ومنغلق يرد كل وافد ويرفض كل جديد.
وإذا كانت الأمة اليوم تتلمس مسار نهضتها، فمن حماقة تجاهل تراثها الفكري وموروثها الحضاري، خاصة إذا كان
هذهي نبي معصوم؛ خرج في أقل من ريع قرن نماذج فريدة لا مثيل لها عبر التاريخ كله. ولإتمام ما سبق، أقدم هذا
البحث، مُتبعاً المنهج الاستقرائي والتحليلي.

ومما يجلي أهمية هذا البحث، وبيّن دور التفاعل الوجداني في التربية ما اتّسمت به مشاعر النبي، من تلبّ حيال
المدعوين، فقد كان يشق عليه ضررهم، وتَعْظُم رَغْبَتُهُ فِي إِبْصَالِ الْخَيْرِ إِلَيْهِمْ وَالرَّفْقَ بِهِمْ، وذلك كما أخبر رب العزة
عنه، بقوله: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة:128]
وكما عَظُم حزنه وأسفه على عدم الاستجابة لدعوته: {لَعَلَّكَ بَاحِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [الشعراء:3] فقد كان يَعْظُم
فرحه وسروره عند الإجابة. فعن أنسٍ ~، قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ، فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ، يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ
رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمُ، فَتَنْظُرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ، وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»⁽¹⁾ وهذه المشاعر لم تكن نزوة عابرة، أو عَرَضاً حادئاً، بل كانت طبعاً أصيلاً فيه، وسجية
راسخة عنده، وعبر عن هذا المعنى هُنْدُ بْنُ أَبِي هَالَةَ ~ - وقد كان وصافاً - حيث قال في بيان صفته: «كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ، مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ، دَائِمَ الْفِكْرَةِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ»⁽²⁾ وَلَمَّا سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بِنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا عَنْ صِفَتِهِ، قَالَ: «إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوَرَاتِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ... لَيْسَ بِقَطُّ وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا سَخَابٍ فِي
الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيْنَةِ السَّيْنَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفُرُ»⁽³⁾.

تعريف الاتصال الوجداني:

الاتصال الوجداني، مركبٌ وصفي، وطرفاه: الاتصال أولاً، ومن معانيه في اللغة: إقامةُ وُصْلَةٍ، أو إحداث تواصل مع
الآخر. يُقَالُ: بَيْنَهُمَا وُصْلَةٌ، وَزَانُ غُرْفَةٍ، أَي: اتَّصَلَ. وَكُلُّ شَيْءٍ اتَّصَلَ بِشَيْءٍ فَمَا بَيْنَهُمَا وُصْلَةٌ. وَتَوَصَّلَ إِلَيْهِ، أَي
تَلَطَّفَ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ. وَالتَّوَاصُلُ: ضِدُّ النَّصَارِمِ.⁽⁴⁾ والوجداني ثانياً، نسبة إلى الوجدان، من: «وَجَدَ» والتي من
معانيها: وجد عليه وجداً وتوجدأ: حزن. وَوَجَدَ عَلَيْهِ مُوجِدَةً وَوَجِدَانًا: غَضِبَ عَلَيْهِ، ومنه في الحديث: «فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ
فِي نَفْسِكَ»، أي لا تَغْضَبْ.⁽⁵⁾

(1) البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الْإِسْلَامُ (1356).

(2) الشَّامِلُ لِلرَّمْذِيِّ (225) (ص90). ومصدق ذلك ما رواه أبو هريرة ~، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتْ الدَّوَابُّ وَالْغَرَائِثُ يَتَمَعَّنَ فِيهِ، فَأَنَا إِجْدٌ بِحَرْكُمُ وَأَنْتُمْ تَمَحَّمُونَ فِيهِ». البخاري، كتاب الرقاق، باب الإنهاء عن المعاصي (6483). مسلم، واللفظ له، كتاب الفضائل باب شَفَقَتِهِ، عَلَى
أُمَّتِهِ وَمُبَالِغَتِهِ فِي تَخْذِيرِهِمْ بِمَا يَضُرُّهُمْ (2284).

(3) البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق (2125).

(4) معجم ديوان الأدب (212/3). الصَّحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1842/5).

(5) سياق الحديث، عن أنسٍ ~، أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ، فَقَالَ: «إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمَسَّدَدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ...». البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم (63).

وَوَجَدَ بِهَا: هَوِيَهَا. والوجد المحبة⁽¹⁾. وتواجد الشخص: أظهر من نفسه الوجد أو الحزن.⁽²⁾ والوجدان، عُرِفَ بأنه إحساس الباطن بما هو فيه. والوجدانيات: ما تكون مُدْرَكَةً بِالْحَوَاسِّ الْبَاطِنَةِ.⁽³⁾ ويُطلق في الفلسفة على ضربٍ من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة.⁽⁴⁾ وعليه، فالوجدان ما يعتمل في النفس من مشاعر وانفعالات استجابة لمؤثرات خارجية.⁽⁵⁾ والاتصال الوجداني: مخاطبة الأحاسيس وإثارة المشاعر لدى المتلقين. وهو أحد طرق التواصل مع الآخر في المنهج التربوي النبوي، ويعني الأساليب المُفَعَّلة لمشاعر المتلقي العاطفية وانفعالاته النفسية. وإيجابية العلاقة أو سلبيتها بين المُعَلِّمِ والمُتَعَلِّمِ دور كبير في تنمية النشاط التفاعلي أو تنبيطه، وترشيده أو شططه.

ولمَّا للجانب العاطفي من أثر في توجيه السلوك وبناء الشخصية، أولاه القرآن الكريم والحديث الشريف عناية بالغة، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ... يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ... يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ... [مريم: 42-45].⁽⁶⁾ وعن قَالَ الْعَرَبِيَّاتُ بِنِ سَارِيَةَ، قَالَ: «وَعَطْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ».⁽⁷⁾ وقد أشار القرآن إلى نُبلِ مشاعر النبي ﷺ ورهافة حسه حين ذكر إشفاقه وشدة حرصه على إيمان قومه: {فَلَعَلَّكَ بَاجِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف: 6]. وكان ﷺ يعامل أصحابه باللين والشفقة،⁽⁸⁾ ويستقبلهم بالابتسام والبشر، ويُمازحهم ويُلاطفهم، حتَّى يظن كل واحد منهم أنه الأقرب إليه. وكانت النتيجة أن بادلوهُ حُباً بحب، حتَّى كانوا يبتدرون أمره ويسارعون في خدمته، ويتمسحون بآثاره.⁽⁹⁾

وكان واحدٌ منهم يفتخر بأن يديه بأثمن ما يملك من نفسه وأهله وماله. والأمثلة في هذا كثيرة. ويمكن إجمال صور الاتصال الوجداني في أربعة مطالب، الأول تحفيز دوافع التعلُّم عند المتلقين. الثاني: مراعاة مشاعرهم، الثالث: الاهتمام بهم. الرابع: التعلُّم بالقُدوة.

(1) وعُرِفَ بأنه ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع، وقيل هو بوق تلمع ثمَّ تخمد سريعاً. التعريفات (ص323). وقيل: حادب القلب من فرع أو غمٍّ، أو زُؤنة معني من أحوال الآخرة. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (ص211).

(2) يُنظر: تهذيب اللغة (110/11). المحيط في اللغة (157/7). أساس البلاغة (320/2). شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (7078/11). معجم اللغة العربية المعاصرة (2402/3).

(3) التعريفات (ص323). التوقيف على مهمات التعاريف (ص718).

(4) المعجم الوسيط (1013/2).

(5) المشاعر، من: حُبٍّ، وبغضٍ، وشفقة، وكراهية. والانفعالات، من: غضبٍ، وخوفٍ، وفرحٍ، وحزنٍ.

(6) فقال له: (يَا أَبَتِ)، فيه استعطاف، ولم يقل يا أبي، وقال: (مَا لَا يَسْمَعُ...) ولم يقل: لِمَ تَعْبُدُ الْحَشْبَ وَالْحَجَرَ. وقال: (إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ)، ولم يقل: إنك جاهلٌ ضالٌّ، وقال: (إِنِّي أَخَافُ)، عبَّرَ له بالخوف ولم يجزم له بالعذاب. وقال له: (أَنْ يَمَسَّكَ)، عبَّرَ بالمسِّ ولم يُعبِّرَ بالحقوق أو التزول. البحر المديد (224/4).

(7) الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (2676). ابن ماجه، كتاب الإيمان، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (43). شعب الإيمان (7109).

(8) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ أَعْلَمُكُمْ، إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْخَلَاءِ فَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقَبِيلَةَ وَلَا يَسْتَدِيرُهَا وَلَا يَسْتَنْجِحُ بِيَمِينِهِ». التَّسَالِي، الطهارة، التَّهَيُّ عَنِ الْإِسْطِطَابَةِ بِالرُّؤْيُ (40). سنن البيهقي (91/1).

(9) عَنْ أَبِي جَحْفَةَ ﷺ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ خَرَاءَ مِنْ أَدَمَ، وَرَأَيْتُ بِأَلَا أأخذ وضوء النبي ﷺ وَالنَّاسُ يَتَبَدَّرُونَ الْوُضُوءَ، فَمَنْ أَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا تَمَسَّحَ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يُصَبِّ مِنْهُ شَيْئًا أَخَذَ مِنْ بَلَدِي يَدِ صَاحِبِهِ». البخاري، كتاب اللباس، باب الثَّيْبِ الْحُمْرَاءِ مِنْ أَدَمَ (5521). مسلم، كتاب الصلاة، باب سُتْرَةِ الْمُصَلِّي (1148).

المطلب الأول

تحفيز دوافع التعلّم

(حفز) الحاء والفاء والزاي، كلمة تدلّ على الحثّ وما قُرب منه،⁽¹⁾ فالحفّز، حثّك الشيء من خلفه سوفاً وغير سوفاً، حفّزه يحفّزه حفّراً،⁽²⁾ ايقل: حفزت القوس السهم، والليل يحفز النهار، وحفّزه إلى الأمر حثّه عليه.⁽³⁾ فالتحفيز: الحثّ والدفع إلى التعلّم أو الاكتساب.⁽⁴⁾ وله صورتان، الأولى: التحفيز بالتحفيز، والثانية: التشويق. الصورة الأولى: التعزيز.

التعزيز: من عزّ يعزّ عزاً وعزّة إذا قوي بعد ذلّة، وعزّرت القوم وأعزّرتهم وعزّرتهم، قويّتهم وشدّدتهم.⁽⁵⁾ فالتعزيز: تقوية العزيمة، وبعث الهمة على التعلّم والاكتساب. وقد يكون إيجابياً أو سلبياً.

• التعزيز الإيجابي: ويعني: إبداء الاستحسان على الإصابة في قول أو عمل؛ دفعا للاستزادة. ومن صورته:

- الثناء على الإصابة في الإجابة، من ذلك أنّ رسول الله ﷺ حين قال لأبيّ بن كعبٍ ~: «يا أبا المنذر أتدري أيّ آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلتُ لله لا إله إلا هو الحيّ القيوم. قال فضرب في صدري، وقال: والله ليبهتك العلم أبا المنذر». ⁽⁶⁾ أو الإصابة في بعضها، قال رسول الله ، في تعبير أبي بكر ~ لزويها رآها رجلاً: «أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً». ⁽⁷⁾ وفي هذا إنصاف، ودفع للمزيد، وعدم تثبيط.

- استحسان فعل، فعن أبو موسى ~ قال: قدّمتُ على رسول الله ﷺ وهو بالبطحاء، فقال: «أحجبت؟ قلتُ نعم، قال بما أهلّنت؟ قلتُ لتيك بإهلّك كإهلّ النبيّ ﷺ، قال أحسنت». ⁽⁸⁾

- استحسان مقال، كما جرى مع أسماء بنت يزيد الأنصارية، وافدة النساء إلى رسول الله ﷺ، فبعد أن سمع مقالتها،⁽⁹⁾ قال: «هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أنّ امرأة تهتدي إلى مثل هذا». ⁽¹⁾

(1) معجم مقاييس اللغة (85/2).

(2) لسان العرب (337/5).

(3) المعجم الوسيط (184/1).

(4) الفرق بين التحفيز والتعزيز، أنّ الأول فيه غلبة الجانب المادي، والثاني فيه غلبة الجانب المعنوي.

(5) وفي التنزيل العزيز: {فَعَزَّزْنَا بِبَالٍ} [يس:14] أي: قويّنا وشدّدنا، وأعزّه، وقواه وجعله عزيزاً، وأحبه وأكرمه. لسان العرب، (374/5). المعجم الوسيط (598/2).

(6) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي (1921).

(7) قال ذلك في سياق حديث رواه ابن عباس ﷺ: أنّ رجلاً أتى رسول الله ، فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطفئ السمن والعسل، فأرى الناس يتكفون منها، فالمستكفي والمستنقئ... فقال أبو بكر: يا رسول الله، والله لقد عني فأعبرها، فقال النبيّ : «اعبرها قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطفئ من العسل والسمن فالقرآن، خلأوه تنطفئ، فالمستكفي من القرآن والمستنقئ... فأخبرني يا رسول الله، أصبت أم أخطأت. البخاري، كتاب التعبير، باب من لم ير الرؤيا لأول عابٍ إذا لم يصب (6639). مسلم، كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا (6066).

(8) البخاري، كتاب الحج، باب الذبح قبل الحلق (1637). مسلم، كتاب الحج، باب في نسخ التحلل من الإحرام والأمر بالتمام (3016).

(9) ممّا جاء في حديثها، أنّها أتت النبيّ ، وهو بين أصحابه، فقالت: إني وافدة النساء إليك، وما من امرأة إلا وهي على مثل رأبي، إن الله يحنك بالحق إلى الرجال والنساء فأمّا بك وبإهلك الذي أرسلك، وأنا معشر النساء محصورات محصورات، فواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتكم علينا بالجمعة والجماعات، وعبادة المرحضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منك إذا أخرج حالاً أو معتمراً ومرايطاً حفظنا لكم أموالكم، وعزّنا لكم أئواناً، وربّنا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ قال: قالت النبيّ : إلى أصحابه بوخيه كلّهم...

– التَّاءُ على حُسْنِ العَرَضِ وأهمية الأمر المعروض. عن سُؤْيِدِ بْنِ حُجَيْرٍ، أَنَّ خَالَه - صَخْرَ بْنَ القَعْقَاعِ - قَالَ: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ كُنْتُ أَوْجَزْتُ المَسْأَلَةَ، لَقَدْ عَظُمْتَ وَأَطُولَتْ»⁽²⁾ وعن أبي أيوبٍ ~، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، بعد أن سألَهُ أعرابيٌّ عن ذلك نظرَ في أصحابِهِ ثُمَّ قال: «لَقَدْ وَفَّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ»⁽³⁾.

– الحَضُّ على حفظ العلم وتعليم الآخرين، قال رسول الله ، لَوْفِدِ عَبْدِ القَيْسِ: «احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ». وقالَ مالِكُ بْنُ الحُوَيْرِثِ: قَالَ لَنَا النَّبِيُّ : «ارْجِعُوا إِلَيَّ أَهْلِيكُمْ فَعَلَّمُوهُمْ». وترجم له الإمام البخاري: بَابُ تَحْرِيزِ النَّبِيِّ ﷺ وَفَدَّ عَبْدِ القَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الإِيمَانَ وَالْعِلْمَ وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ⁽⁴⁾.

– الاستقبال بالبشاشة والترحيب،⁽⁵⁾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنْ وَفَدَ عَبْدِ القَيْسِ أَتَوَا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ الوَفْدُ أَوْ مَنْ القَوْمُ، قَالُوا رَبِيعَةٌ، فَقَالَ مَرْحَبًا بِالقَوْمِ أَوْ بِالوَفْدِ غَيْرِ خَزَائِيَا وَلَا نَدَامِي»⁽⁶⁾.

– التَّاءُ على الخصال الحميدة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَسْحَجِ عَبْدِ القَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ خَصَلَتَيْنِ يُجِبُهُمَا اللَّهُ الحِلْمَ وَالْأَنَاءَةَ»⁽⁷⁾.
– التَّشْجِيعُ على التَّنَافُسِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الحَارِثِ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصِفُ عَبْدَ اللَّهِ وَعَبِيدَ اللَّهِ وَكَثِيرًا بَنِي العَبَّاسِ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا. قَالَ فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَفْعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ فَيَقْبَلُهُمْ وَيَلْزَمُهُمْ»⁽⁸⁾.
– المَكافأة على القيام بعمل، من ذلك ما رواه ابْنُ عَبَّاسٍ : «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الخَلَاءَ، فَوَضَعَتْ لَهُ وَضوءًا قَالَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا، فَأُخْبِرَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ»⁽⁹⁾.

(1) ثُمَّ قَالَ لَهَا: "انصربي أيتها المرأة، وأعلبي من خلقك من النساء أن أحسن تبعل إحداهن لزوجها، وطبعتها مرضاته، وأتباعها مؤافقته تعدل ذلك كله". قال: فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً. شعب الإيمان للبيهقي (ص: 100).

(2) وتمة الحديث: «أقيم الصلاة المكتوبة، وأد الركاة المفروضة، وحج البيت، وما أحببت أن يفعلها الناس بك فافعله بهم، وما كرهت أن يفعلها الناس بك فدع الناس منه». المعجم الكبير (ص: 100).

(3) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة (ص: 100).

(4) البخاري، كتاب العلم، (ص: 100).

(5) قال ابن الأثير (ت: 606هـ): البش: فرح الصديق بالصدق واللطف في المسألة والإقبال عليه. وهذا مثل ليلته إياه ببره وتقريبه وإكرامه، ومنه حديث علي ﷺ: «إذا اجتمع المسلمان فتذاكرا غفر الله لأبئهما بصاحبه». وبشاشة اللقاء: الفرح بالمرء والانبساط إليه والأنس به. النهاية في غريب الأثر (1/151). ويظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (53/1). وعن أبي ذر ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «تسئلكم في وجهه أحيان صدقة، وإفراغك من ذلوك في ذلوك أحيان صدقة، وأمرتك بالمعروف ونهيتك عن المنكر كئيب لك صدقة، وإماتتك المشوكة والحجر عن الطريق صدقة، وإرشادك الضال عن الطريق صدقة». الترمذي، وقال: حسن غريب، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف (1956). مسند الزوار، واللفظ له (4070).

(6) البخاري، كتاب العلم، (ص: 100). (الجزائري)، جمع خزائن، كخيزان وخيزاري وسكران وسكراري والخزائن المستحجي. وقيل: الدليل المهان. (والندامي)، قيل: جمع ندمان بمعنى نادم... وقيل: جمع نادم، وكان الأصل "نادمين" فأُتبع لجزائنا تحسبنا للكلام... ومعناه: أنه لم يكن منكم تأخر عن الإسلام، ولا عناد، ولا أصابكم إشار ولا سب، ولا ما أشبه ذلك مما تشحون بسببه، أو تذلون أو تهانون أو تندمون. شرح التتوي على مسلم (187/1).

(7) مسلم، عن ابن عباس، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه (126). قال القاضي عياض: فالأناة ترئضه حتى نظر في مصالحه ولم يعجل، والحلم هذا القول الذي قاله الدال على صحة عقله، وخوذة نظره للعواقب. شرح التتوي على مسلم (189/1).

(8) المسند (1836). قال الهيمتي: فيه يزيد بن أبي زياد، وفيه ضعف، وقال أبو داود: لا أعلم أحدا ترك حديثه، وغيره أحب إلي منه. وروى له مسلم مقروناً بالبخاري تعليقا، وبقية رجاله ثقات. مجمع الروايد (9352).

(9) البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء (143). قال التميمي: فيه إسئجاب المكافأة بالدعاء. وقال ابن المبر (ت: 656هـ): مناسبة الدعاء لابن عباس بالتفقه على وضوء الماء من جهة أنه تردد بين ثلاثة أمور: إما أن يدخل إليه بالماء إلى الخلاء، أو يضعه على الباب ليتناول من قرب، أو لا يفعل شيئا، فرأى الثاني أوفق؛ لأن في الأول تعرضا للاطلاع، والثالث يستدعي مشقة في طلب الماء، والثاني أسهلها، فيغله يدل على ذكائه، فناسب أن يدعو له بالتفقه في الدين ليحصل به النفع. فتح

- الملاطفة في الخطاب،⁽¹⁾ من ذلك مخاطبة رسول الله ' بِلْيَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ { [المزمل: 1] وِبِلْيَا أَيُّهَا الْمُدْتَرُّ { [المدثر: 1] ففيه تأنيس وملاطفة لرسول الله ﷺ؛ ليستشعر أن الله ﷻ غير عاتبٍ عليه. كما فيه تنبيه -من جهة- لكل مُتْرَمِّلٍ راقِدٍ بالليل ليتنبه إلى ذكر الله؛⁽²⁾ لأنَّ الاسم المُشْتَقَّ من الفعل يشترك فيه المُخاطَبُ وكلَّ مَنْ اتصَفَ بتلك الصِّفَةِ،⁽³⁾ ولكلِّ مسلمٍ أن ينهض للدعوة معظماً الله ﷻ وحده فيها. ومنه مخاطبته ' علياً ﷺ، بقوله: «فم أبا ترابٍ فم أبا ترابٍ». ⁽⁴⁾ وحديفة بن اليمان ~ بعد أن أرسله ليلة الأحراب ليأتيه بخبر القوم، بقوله: «فم يا نومان». ⁽⁵⁾
- التَّحِبُّ إلى المُخاطَبِ، قَالَ مُعَاذُ ﷺ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: «إِنِّي لِأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ، فَقُلْتُ: وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «فَلَا تَدْعُ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: رَبِّ أَعْنِي عَلَى نِكَرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». ⁽⁶⁾
- التَّوَدُّدُ وَالإِشْفَاقُ عَلَيْهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ إِذَا أَتَيْتُمُ الْعَايِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقَبْلَةَ وَلَا تَسْتَنْدِبُوهَا». ⁽⁷⁾ وَقَالَ لِأَنْسِيِّ ﷺ: «يَا بُنَيَّ». وَقَالَ لِلْمَغِيرَةِ بْنِ شَعْبَةَ ﷺ بَعْدَ إِكْتَارِهِ السُّؤَالَ عَنِ الدَّجَالِ: «أَيُّ بُنَيَّ وَمَا يُصِيبُكَ مِنْهُ إِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ قَالَ فُلْتُ إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَعَهُ أَنْهَارَ الْمَاءِ وَجِبَالَ الْخُبْرِ قَالَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ». ⁽⁸⁾

الباري (244/1). والتيمي: هو مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَضِيِّ الشَّافِعِيِّ (ت526هـ) له: "التخريج في شرح صحيح مسلم"، قيل أمته ابنه إسماعيل، الملقب بقوام السنّة (ت535هـ) نقل عنه النووي في شرحه لمسلم، والكرمانج في شرحه للبخاري.

⁽¹⁾ قال الإمام النووي (ت676هـ): وَمَنْ يَقُلْ: (إِلَى هِرْقُلَ فَمَقَطُ)، بَلَّ أَمَى بَنُوْعٍ مِنَ الْمَلَاطِفَةِ فَقَالَ: (عَظِيمُ الثُّومِ)، أَيُّ الَّذِي يُعْظَمُونَهُ وَيُتَدَمُّونَهُ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِنْفَةِ الْقَوْلِ لِمَنْ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ تَعَالَى: {أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}، وَقَالَ تَعَالَى: {فَقُولُوا لَهُ قَوْلًا لَبِيبًا}. شرح النووي على مسلم (1/226).

⁽²⁾ من عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تُسَمِّيَ المُخاطَبَ بِاسْمِ مُشْتَقٍ مِنَ الْحَالَةِ الَّتِي هِيَ فِيهَا، فَلَوْ نَادَاهُ ﷺ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الْكَرْبِ بِاسْمِهِ أَوْ بِالْأَمْرِ الْمَجْدُ مِنْ هَذِهِ الْمَلَاطِفَةِ لِهَالَهُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَمَّا بَدَأَ بِهَذَا الْخُطَابِ أُنْسَ وَعَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ رَاضٍ عَنْهُ. أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ قَالَ عِنْدَمَا لَقِيَ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ شِبْذَةَ الْبَلَاءِ وَالْكَرْبِ مَا لَقِيَ: "رَبِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أَبَالِي" إِلَى آخِرِ الدَّعَاءِ، فَكَانَ مَطْلُوبُهُ رِضَا رَبِّهِ، وَبِهِ كَانَتْ تَحْوَنٌ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ. الرُّوضُ الْأَنْفُ فِي شَرْحِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ لِلتَّهْلِيكِيِّ (ت581هـ) (3/55).

⁽³⁾ التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (2/422).

⁽⁴⁾ وسياق الحديث: قَالَ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ: «جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ فَقَالَ: «أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ؟ قَالَتْ: كَانَ بَيْتِي وَبَيْتُهُ شَيْءٌ فَعَاصَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقْرَأْ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ أَنْظِرْ أَيْنَ هُوَ، فَجَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ زَائِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِمِّهِ وَأَصَابَتْهُ تَرَابٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسُخُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ...». البخاري، كتاب الصلاة، باب نَوْمِ الرِّجَالِ فِي الْمَسْجِدِ (430). مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ ﷺ (6382). قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ (ت449هـ): وَمَسَحَ التَّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ لِيَسْطِطَهُ وَيَذْهَبَ غِيظُهُ وَتَسْكُنَ نَفْسُهُ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَعَاتِبْهُ عَلَى مَغَاضِبَتِهِ لِابْتِنَاهُ. شرح صحيح البخاري (9/353). وَكَمَا أَرَادَ ' الرَّفْقَ بِصَهْرِهِ وَالطَّافَةَ بِتَرْكِهِ مَعَاتِبَتِهِ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ لِأَهْلِهِ. أَرَادَ اسْتِعْطَافَهَا عَلَيْهِ بِذِكْرِ الْقَرَابَةِ، بِقَوْلِهِ: (ابْنِ عَمِّكَ) وَلَمْ يَقُلْ: (زَوْجِكَ، أَوْ عَلِيٍّ). الْكَوَاكِبُ الدَّرَاوِي فِي شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ شَمْسِ الدِّينِ الْكِرْمَانِيِّ (ت786هـ) (4/101). التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن (ت804هـ) (29/135).

⁽⁵⁾ قَالَ ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يَا بُنَيَّ يَخْرُجُ الْقَوْمُ يَكُونُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَمْ يُجِبْهُ مِمَّا أَحَدٌ مِمَّا أَتَى مِثْلَهُ ثُمَّ قَالَ: يَا حَدِيثُهُ فَمُ فَاتِنَا يَخْرُجُ الْقَوْمُ... فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ أَصَابَنِي الْبُرْدُ حِينَ فَرَعْتُ وَفَرَزْتُ فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عِبَادَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى الصُّبْحِ فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَمُ يَا نَوْمَانُ». مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ (474).

⁽⁶⁾ أَبُو دَاوُدَ، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ فِي الْإِسْتِغْفَارِ (1524). التَّسَانِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الدَّعَاءِ بَعْدَ الذِّكْرِ (1303).

⁽⁷⁾ ابْنُ مَاجَةَ، كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ الْاسْتِحْجَاءِ بِالْحِجَارَةِ (313). الْمُسْنَدُ (7368).

⁽⁸⁾ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ الْحَدِيثَيْنِ، كِتَابُ الْأَدَابِ، بَابُ جَوَازِ قَوْلِهِ لِغَيْرِ ابْنِهِ يَا بُنَيَّ وَاسْتِحْبَابِهِ لِلْمَلَاطِفَةِ (2151-2152). قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ لُثْمَانُ لِإِخْوَتِهِ وَهُوَ يَعْطَلُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13]. قَالَ الْأَلُوسِيُّ: يَا بُنَيَّ، تَصْغِيرُ إِشْفَاقٍ وَحِبَّةٍ لَا تَصْغِيرُ تَحْفِيرٍ. رُوحُ الْمَعَانِي (84/21). وَالتَّصَبُّ: التَّعَبُ. التَّهَابَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (5/140).

– المؤانسة؛⁽¹⁾ بقصد استمالة قلب المُخاطب، كما في قصة ثُمَامَةَ بن أُنَّالٍ، حيث سأله رسول الله ﷺ على مدى ثلاثة أيام: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟»⁽²⁾ فكانت إجابته في اليوم الثاني أقلَّ حدة منها في اليوم الأول، وأشدَّ من اليوم الثالث، وما كان سؤال رسول الله ﷺ له إلا لإزالة الوحشة من قلب أسير، موثَّق بالقيود، ومجهول المصير، فكان المألَّ إعلان الإسلام طوعية.⁽³⁾ وخاصة أنها صدرت من كبير القوم.

• التَّعْزِيزُ السَّلْبِيُّ:

مع أنَّه كان يشق عليه ' إيقاع الضرر بالخلق، وتَعْظُمُ رغبته في إيصال الخير إليهم، إلا أنَّه كالطَّبِيبِ المُشْفِقِ والأبِ الرَّجِيمِ، فريماً أقدمَ الأول على علاجاتٍ صعبة، والثَّاني على تأديباتٍ شاقَّة.⁽⁴⁾ وعليه فالتَّعْزِيزُ السَّلْبِيُّ: إنكار خطأ، أو استهجان تصرّف - تلميحاً أو تصريحاً - أو إيقاع عقاب؛ حملاً على الإصلاح وتغيير النَّهْج. وتتعدد صورته، فمنها:

– الإعراض في كثير من المناسبات يكون لسان الحال أبلغ في التَّعبير من لسان المقال، كما في الإعراض عن المُخْطِئ.⁽⁵⁾

– التَّحْذِيرُ مِنَ الْقِيَامِ بِفَعْلٍ، ويكون بصيغة العموم حفاظاً على المشاعر: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِيَّاكُمْ وَالذُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمُوَ، قَالَ الْحَمُوُ الْمَوْتُ».⁽⁶⁾

(1) أنسه، مؤانسة لطفه وأزال وحشته فهو مؤانس. واستؤخس: وجد الوحشة، واستؤخس منه لم يأنس به فكان كالوَحْشِي. لسان العرب (368/6). القاموس المحيط (66/2). وهذا من الاستفهام المستعمل في الإناس: وهو أن يؤانس المتكلم من مخاطبه، فيطرح عليه أسئلة يجزؤه بما إلى الخادثة، مع أن المتكلم عالم بجواب أسئلته. مثاله قول الله ﷻ في ميثمًا ما كلم الله به موسى في رحلة التكليم: ﴿وَمَا يَلِكُ يَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنْوَكًا عَلَيْهَا وَأَهْمُسُ بِهَا عَلَى عَنِي وَيَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى { [طه 17-18]. البلاغة العربية، للشيخ عبد الرحمن حنينه الميداني (ص232).

(2) قال الإمام النووي: هذا من تأليف القلوب وملاطفة لمن يُرْجَى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير. شرح النووي على مسلم، (6/214). روى الحديث أبو هريرة رضي الله عنه، قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني خبيزة يقال له ثُمَامَةُ بن أُنَّالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ تَفْئِلِي تَفْئِلٌ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٌ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَزَكَّ حَتَّى كَانَ الْعَدُوُّ ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: مَا فَكْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمَ عَلَيَّ عِنْدِي مَا فَكْتُ لَكَ، فَقَالَ: أَطْلَعُوا ثُمَامَةَ، فَأَنْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَانْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَّوْتُ؟ قَالَ لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْبَيْمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْهَا فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ. «البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني خبيزة وحديث ثُمَامَةَ بن أُنَّالٍ (4114).

(3) قال الحافظ ابن حجر (ت852هـ): قوله: (عندي ما قلت لك) أي إن تُنْعِمَ، تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٌ؛ هكذا اقتصر في اليوم الثاني على أحد الشقين. وحذف الأمرين في اليوم الثالث... وذلك أنه قدَّم أول يوم أشق الأمرين عليه وأشفى الأمرين لصدر خصومه وهو القتل، فلَمَّا لم يقع اقتصر على ذكر الاستعطاف وطلب الإنعام في اليوم الثاني، فكأنه في اليوم الأول رأى أمارات الغضب فقدَّم ذكر القتل، فلَمَّا لم يقتله طمع في العفو فاقصر عليه، فلَمَّا لم يعمل شيئاً ممَّا قال اقتصر في اليوم الثالث على الإجمال تفويضاً إلى جليل خلقه ﷺ. فتح الباري (88/8).

(4) ينظر: مفاتيح الغيب (16/177).

(5) قال أنس بن مالك خرج رسول الله ﷺ فرأى قُبَّةً مُشْرِفَةً فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ هَذِهِ لِغُلَابِنَ، رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ فَسَكَتَ وَحَمَلَهَا فِي نَفْسِهِ حَتَّى إِذَا حَاءَ صَاحِبُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ فِي النَّاسِ، أَعْرَضَ عَنْهُ، صَنَعَ ذَلِكَ مِرَاراً حَتَّى عَرَفَتِ الرَّجُلَ الْغَضَبُ فِيهِ وَالْإِعْرَاضُ عَنْهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ وَاللَّهِ إِلَيَّ لِأَنْكِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا خَرَجَ فَرَأَى قُبَّتَكَ. قَالَ فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى قُبَّتِهِ فَهَدَمَهَا حَتَّى سَوَّاهَا بِالْأَرْضِ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمَّ يَرَاهَا، قَالَ: مَا فَعَلْتَ الْقُبَّةُ؟

قَالُوا شَكَا إِلَيْنَا صَاحِبُهَا إِعْرَاضَكَ عَنْهُ فَأَخْبَرْنَاكَ فَهَدَمَهَا، فَقَالَ: أَمَا إِنَّ كُلَّ بِنَاءٍ وَبِنَاءٍ عَلَيَّ صَاحِبِهِ إِلَّا مَا لَا إِلَهَ مَا لَا. يَعْنِي مَا لَا بُدَّ مِنْهُ». أبو داود، كتاب الأدب، باب مَا حَاءَ فِي الْبِنَاءِ (5239).

(6) عَنْ عُثْبَةَ بنِ عَامِرٍ ~. البخاري، باب لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِأَمْرَةٍ إِلَّا دُوَّ تَحْرِمُ وَالذُّخُولَ عَلَى الْمُعَيَّبَةِ (4934). مسلم، كتاب الأدب، باب تَحْرِمُ الْخُلُوفَ بِالْأَخْبِيَّةِ وَالذُّخُولَ عَلَيْهَا. (5803).

– التائب على التصرف غير السديد، قال أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: «لَا أَكَادُ أَدْرِكُ الصَّلَاةَ مِمَّا يُطَوَّلُ بِنَا فُلَانٍ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِذٍ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنْقَرُونَ فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَدَا الْحَاجَةَ».(1)

– إظهار الغضب على الفعل الخطأ إشعاراً بفداحته، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ «رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ، فِي أَمْرٍ فَتَنَرَهُ عَنْهُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ فَلَبَّغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ، فَغَضِبَ حَتَّى بَانَ الْعَضْبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْتَعِبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمُ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً».(2)

– الدعاء على من بلغت أعمالهم غاية القبح، مبالغة في التحذير، ولا يخفى ما فيه من زجر، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ»(3) قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدِيهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».(4) والدعاء يكون على غير معين كما كان يفعله الرسول ؛ رجاء أن الرجوع عن الغي، والستر وعدم الافتضاح.

– الضرب: يجوز اللجوء إلى الضرب بعد استنفاد السبل الأخرى،(5) فأخر الدواء الكي، لكن بشرطه، بأن يكون غير مُبرِّح، واتقاء الوجه، أو كسر العظم... قال النبي : «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْتِغِ الْوَجْهَ»(6) لأنَّ الوجه مجمعُ المحاسن، ومعقدُ العزِّ من الإنسان. وألا يصل إلى حدٍّ ينتج عنه عكس ما يُراد منه. قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أَتَى النَّبِيَّ ، بِسَكَرَانَ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِعِصَا وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِتَوْبِيهِ فَلَمَّا انصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : لا تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَحْيِكُمْ».(7) وفي هذا إشارة إلى عدم تجاوز الحد في العقوبة، أو التعدي فيها، كأن يكونوا عوناً للشيطان عليه حين دُعِيَ عليه بالخزي، بل أمروا أن يدعو له: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»، بعد تبيته، وذلك بمواجهته بقيق فعله، فعندما أقبلوا عليه، قالوا له: «مَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، مَا خَشَيْتَ اللَّهَ جَلَّ تَعَالَى، مَا اسْتَحَيْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ».(8)

(1) البخاري، كتاب العلم، باب العَصَبِ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ (88).

(2) مسلم، كتاب الفضائل، باب علمه صلى الله عليه وسلم بِاللَّهِ تَعَالَى وَشِدَّةَ خَشْيَتِهِ (6257).

(3) قال المناوي (ت1031هـ): كرهه ثلاثاً لزيادة التنفير والتحذير. فيض القدير (34/4). وقال أبو العباس القرطبي (ت656هـ): وهذا من النبي صلى الله عليه وسلم دعاء مؤكداً على من قصر في بر والديه. ويحتمل وجهين، أحدهما: أن يكون معناه: صرعه الله لأنه فاهلكه، وهذا إما يكون في حق من لم يقيم بما يجب عليه من برهما. وثانيهما: أن يكون معناه: أدله الله؛ لأن من ألقى أنفه – الذي هو أشرف أعضاء الوجه – بالثراب – الذي هو موطئ الأقدام وأحسن الأشياء – فقد انتهى من الدُّل إلى الغاية القصوى، وهذا يصلح أن يُدعى به على من فرط في تأكيدات المندوبات، ويصلح لمن فرط في الواجبات، وهو الظاهر، وتخصيصه عند الكبر بالذكر – وإن كان برهما واجباً على كل حال – إنما كان ذلك لشدة حاجتهما إليه، ولضعفهما عن القيام بكثير من مصالحهما، وليبادر الولد اغتنام فرصة برهما؛ لئلا تفوته بموتهما، فيندم على ذلك. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1326/4).

(4) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب رَغِمَ أَنْفٌ مَنْ أَدْرَكَ أَيْتُوِيهِ... (6675). ومعنى رَغِمَ: ذَلَّ وَقِيلَ: خُرِي، وَهُوَ يَفْتَحُ الْعَيْنَ وَكَسَرَهَا، وَهُوَ الرُّغْمُ بِضَمِّ الرَّاءِ وَفَتْحَهَا وَكَسَرَهَا، وَأَصْلُهُ لَصِقَ أَنْفُهُ بِالرِّغَامِ، وَهُوَ تَرَابٌ مُخْتَلَطٌ بِرَمْلِ، وَقِيلَ: الرُّغْمُ كُلُّ مَا أَصَابَ الْأَنْفَ بِمَا يُؤْذِيهِ. شرح النووي على مسلم (108/16).

(5) قال صلى الله عليه وسلم: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاصْرِفْهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ». أبو داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمرُ العُلَامُ بِالصَّلَاةِ (495). المستدرک (1708/1). وَأَمَرَ صلى الله عليه وسلم بِالضَّرْبِ لِعَشْرِ؛ لِأَنَّهُ حَدٌّ يُخَمَلُ فِيهِ الضَّرْبُ غَالِيًا، وَالْمُرَادُ بِالضَّرْبِ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ وَأَنْ يَبْتِغِيَ الْوَجْهَ فِي الضَّرْبِ. تحفة الأحمدي (270/2).

(6) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب التَّهْيِ عَنْ ضَرْبِ الْوَجْهِ (6819). وأبو داود، واللفظ له، كتاب الحدود، باب فِي ضَرْبِ الْوَجْهِ فِي الْحَدِّ (4493).

(7) البخاري، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر (6283).

(8) الزيادة من أبي داود، كتاب الحدود، باب الحد في الخمر (3882). يُنظر: فتح الباري (67/12).

الصورة الثانية: التشويق.

التشويق، من "شوق" الشين والواو والقاف، يدلُّ على تعلق الشيء بالشيء. فالتشويق: تهيُّج النفس أو تعلقها بشيء، والتشويق: تهيُّج النفس أو تعليقها بشيء حثًّا لها على طلبه.⁽¹⁾ ومن صورته:

— طرح سؤال بقصد الإرشاد، كقوله: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ، قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ...».⁽²⁾ قال الطَّبَّيِّ (ت743هـ): هذا سؤال إرشادٍ لا استعلام؛ ولذلك قال: إِنَّ الْمُفْلِسَ كَذَا وَكَذَا.⁽³⁾

— الوعد بإخبار بأمر، مثاله: ما رواه أبو سَعِيدِ ابْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه: «...قَالَ لِي لِأَعْلَمَنَّكَ سُورَةَ هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّكَ قُلْتَ لِأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ، قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيْتُهُ».⁽⁴⁾ فالوعد يُبَيِّرُ الفضول ويدفع لمعرفة الأمر الموعد، يدل عليه قوله ~: فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، 'وفي رواية: فَذَهَبَ النَّبِيُّ، لِيَخْرُجَ، فَأَذْكَرْتُهُ.⁽⁵⁾

— الإخبار عن أمرٍ ذي بالٍ، قال أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ... فَتَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ إِنِّي لَأَحِبُّتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أُدْخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَإِنِّي رَأَيْتُ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ...».⁽⁶⁾

⁽¹⁾ الشُّوقُ والاشْتِيَاؤُ نَزَاغُ النَّفْسِ إِلَى الشَّيْءِ. وَيُقَالُ شَاقِي يَشُوقِي، وَلَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ عِلْقِ حُبِّ. مَعْجَمُ مَقَائِسِ اللَّغَةِ (229/3). وَشَوْقُهُ فَتَشُوقُ، أَيُّ هَيَّجَ شَوْقُهُ. مَخْتَارُ الصَّحَاحِ (ص170). وَشَاقِي حُبُّهَا، وَدَكَّرَهَا يَشُوقِي، أَيُّ: يَهَيِّجُ شَوْقِي. تَهْدِيبُ اللَّغَةِ (169/9). وَالشُّوقُ حَرَكَةُ الْهَوَى. لِسَانُ الْعَرَبِ (192/10).

⁽²⁾ مُسَلِّمٌ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَبِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ (6744).

⁽³⁾ شَرْحُ الْمَشْكَاءِ، الْكَاشِفُ عَنِ حَقَائِقِ السَّنَنِ (3255/10).

⁽⁴⁾ الْبِخَارِيُّ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ، بَابُ وَاسْمِيتِ أُمِّ الْكِتَابِ (4114).

⁽⁵⁾ ابْنُ مَاجَهَ، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ ثُؤَابِ الْقُرْآنِ (3785).

6- الْمَسْنَدُ، مَسْنَدُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (12697).

المطلب الثاني:

مراعاة المشاعر والأحاسيس

عند النَّصْح والإرشاد ينبغي مراعاة مشاعر المتلقين النَّفسية، كي لا يحدث لديهم إحجامٌ ونفورٌ من المُعَلِّم؛ لأنَّ كلَّ فعل له ردُّ فعل، وعليه لا ينبغي أن يُواجه الشَّخصُ بما هو واقع فيه عياناً، أو الإشارة إلى الخطأ مباشرة، فالنَّصْح غير المباشر أوقع في النَّفس من المباشر. ومن صورته:

– التَّعريض وعدم الإفصاح، خاصَّة في المسائل الحرجة، عن السيِّدة عائشة: «أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ‘ عَنِ الْخِيضِ، كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْهُ... قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَرَفْتُ الَّذِي يُرِيدُ النَّبِيُّ ‘ فَجَدَّبْتُهَا إِلَيَّ فَعَلَّمْتُهَا». قال ابن حجر (ت852هـ): وفيه الاكتفاء بالتَّعريض والإشارة في الأمور المُستَهْجَنَة⁽¹⁾ وإذا اقتضى الأمر الإفصاح، وفيه ما يسوء صاحبه، تعيَّن إخفاؤه عن الآخرين.⁽²⁾

– تكليف من يقوم بالإرشاد، فقد يقتضي الحال أن يُكَلِّف المُعَلِّم من يقوم بالنَّصْح والتَّوجيهِ، تجنباً للحرج، قال ربعي بن خراش: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ‘ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْحُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ‘ لِخَادِمِهِ: اخْرُجْ إِلَيَّ هَذَا فَعَلَّمَهُ الْاسْتِئْذَانَ، وَقُلْ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلْ؟ فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ‘، فَدَخَلَ». (3) وعن أنس بن مالك ﷺ: دخل على النَّبِيِّ ‘ رَجُلٌ وَعَلَيْهِ صُفْرَةٌ، فَكْرَهَهَا، فَلَمَّا قَامَ الرَّجُلُ، قَالَ النَّبِيُّ ‘ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: «لَوْ أَمَرْتُمْ هَذَا أَنْ يَدَعَ هَذِهِ الصُّفْرَةَ». قال أنس ~: وَكَانَ النَّبِيُّ ‘ فَلَمَّا يُوَاجِه رَجُلًا بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ فِي وَجْهِهِ.⁽⁴⁾

– تعميم النَّصْح والإرشاد، تجنباً للإحراج: قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ: كَانَ النَّبِيُّ ‘ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءَ لَمْ يَقُلْ مَا بَالَ فُلَانٍ يَقُولُ، وَلَكِنْ يَقُولُ: «مَا بَالَ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا». (5) قال الإمام النَّوَوِي (ت676هـ): كان النَّبِيُّ ‘ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا فَخَطَبَ لَهُ، ذَكَرَ كِرَاهِيَتَهُ، وَلَا يُعَيِّنُ فَاعِلَهُ، وَهَذَا مِنْ عَظِيمِ خُلُقِهِ ‘، فَإِنَّ الْمُقْصُودَ مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصَ وَجَمِيعَ الْحَاضِرِينَ وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ يَبْلُغُهُ ذَلِكَ، وَلَا يَحْصُلُ تَوْبِيخٌ صَاحِبِهِ فِي الْمَلَأِ.⁽⁶⁾

– القصد والاعتدال، والمراد منه: التَّوَسُّطُ فِي الْأُمُورِ بِلَا إِفْرَاطٍ أَوْ تَفْرِيطٍ، وعدم مجاوزة الحدِّ، سواء في التَّعْلِيمِ أَوْ الْإِرْشَادِ أَوْ الْعِبَادَةِ أَوْ النَّصْحِ، فعن جابر ~، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ‘، قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ: عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ، عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا». (7) وقصة الثلاثة الذين سألوا عن عبادة رسول الله ‘ وكانهم تقالُّوها مشهورة، وعدم قصدهم

(1) سبق تخريج الحديث. فتح الباري (1/416).

(2) قديم زُرارة بن عمرو التَّحَعِّيُّ عَلَى النَّبِيِّ ‘ سَنَةَ تِسْعٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِيَّيْ رَأَيْتُ فِي طَرِيقِ رُؤْيَا هَالَتَنِي. قَالَ مَا هِيَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ أَنَا نَا خَلَّتْهَا فِي أَهْلِي وَلَدَتْ جَدِيًّا أَسْتَمِعُ أَحْوَى، وَرَأَيْتُ نَارًا حَرَجَتْ مِنَ الْأَرْضِ فَخَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ لِي يُقَالُ لَهُ عَمْرُو، وَهِيَ تَقُولُ: لَطَى لَطَى، بِصَبْرٍ وَأَعْمَى. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَلْ خَلَفْتَ فِي أَهْلِكَ أُمَّةً مُسِرَّةً حَمَلًا. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ وَكَلَدْتَ غَلَامًا، وَهُوَ ابْنُكَ. قَالَ: فَمَا بَالُهُ أَسْتَمِعُ أَحْوَى؟ أَدْنَى مِنِّي، أَيْكَ بَرَصَ تَكْتُمُهُ؟ قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عَلِمَهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ. قَالَ: فَهُوَ ذَاكَ.... تاريخ المدينة النبوية (2/285). أسد الغابة (2/314). أسفح أحوى: أسود اللون مائل إلى الحمرة. معجم الرائد (ص108).

(3) أبو داود، كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان (5177). مصنف ابن أبي شيبة، في الاستئذان (6/132).

(4) المسند (12573). الشَّامِلُ الْمَحْمُودِيَّة (347).

(5) أبو داود، كتاب الأدب، باب في حُسْنِ الْعِشْرَةِ (4788).

(6) شرح النَّوَوِي (176/9). قَالَ الْخَطَّابِيُّ (ت388هـ): مَا كَانَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُوَاجِهُهُمْ – أَيِ الْمَنَافِقِينَ – بِصَرِيحِ الْقَوْلِ، فَيَقُولُ: فُلَانٌ مُنَافِقٌ، وَإِنَّمَا كَانَ يُشِيرُ إِشَارَةً كَقَوْلِهِ ﷺ مَا بَالَ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا؟. شرح النَّوَوِي (2/48).

(7) مسند أبي يعلى (1796). الفقيه والمتفقه (934).

واعتدالهم أوقعهم في الحرج فيما بعد. ومن صورته: الاقتصاد في الموعظة، وتجنب الإطالة؛ لئلا يؤدي إلى الضجر والملال، كما سبق في الحديث: «إِنَّ مِنْكُمْ مُتَفَرِّينَ»، إلا إذا اقتضى الحال،⁽¹⁾ قال عمرو بن أخطب رضي الله عنه: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهُرُ فَتَزَلَّ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا». (2) وتحوّل الوقت المناسب للتعليم، باختيار أيام معينة وساعات محددة خشية السامة؛ لأنّ للنفوس إقبالا وإدبارا، وأشواقا ورجبات. قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ ' يَتَحَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا». (3)

– الرّفق بالجاهل وعدم تثريبه: (4) يُعْطِي اللهُ ﷻ - كما أخبرنا رسوله - على الرّفق ما لا يُعْطَى عَلَى الْعُفْبِ. وَلَا يَكُونُ الرّفقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ. (5)

– والرّفق من شيم الفضلاء، خاصّة بالجاهل أو ضعيف الإيمان، كي لا ينفروا أو يعرضوا. روي عن رسول الله ، أنه قال: «عَلِّمُوا وَلَا تُعْنَفُوا، فَإِنَّ الْمَعْلَمَ خَيْرٌ مِنَ الْمُعْنَفِ». (6)

– من ذلك أنه عندما همّ بعض الصحابة النّيل من الأعرابي الذي بال في المسجد، قال لهم رسول الله : «لَا تُزْرِمُوهُ، ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّ عَلَيْهِ». (7) قال ابن بطّال (ت499هـ): فيه الرّفق بالجاهل والصفح والإغضاء عنه... وأمر أن لا يُهاج حتى يفرغ من بوله تأنيسا له ورفقا به. (8) وقال معاوية بن الحكم السلمي ~: «بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: بِيْرَحَمَكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَأَتَكَلَّ أَمْيَاهُ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمْتُونَ لِي، لَكِنِّي سَكَتُ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبَائِي هُوَ وَأَمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا سَمَنِي». (9) قال الإمام

(1) قال الخطيب البغدادي (ت463هـ): وقد رخص في الإطالة إذا دعا إلى ذلك داع. الفقيه والمتفقه (935).

(2) مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب إختيار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة. (7449).

(3) البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخوّمهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا (66). مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الاقتصاد بالموعظة (5047). الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في الفصاحة والبيان (2782).

(4) الشّريب شبيه بالتفريع والتوبيخ، تقول: ونّجه وقرّعه وتثّره بما كان منه. معجم الفروق اللّغوية (ص80).

(5) مجموع حديثين روّتهما السيدة عائشة. مسلم، كتاب البرّ والصّلة والأدب، باب فضّل الرّفق (6766-6767). قال الحافظ: الرّفق، لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضدّ العنف. فتح الباري (10/449).

(6) قال السيوطي: أخرجه الحارث والطيالسي وابن عدى والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه. جامع الأحاديث (14/231). قال البيهقي: تفرد به حميد بن أبي سويد، وهو منكر الحديث. شعب الإيمان (1749). الفقيه والمتفقه (980) (8/2).

(7) البخاري، كتاب الأدب، باب الرّفق في الأمر كلّهُ (5679). مسلم، كتاب الطهارة، باب وُجوب غسل البؤل وغيره من النّجاسات (687). قال المهلب "وهو بن أبي صفرة الأندلسي (ت435هـ)، له شرح على صحيح البخاري: فيه الرّفق بالجاهل، لأنّه لو قطع عليه بوله لأصاب ثوبه البول وتنجس. شرح صحيح البخاري (327/1).

(8) شرح صحيح البخاري (9/226). قال الحافظ: وفيه الرّفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادا، ولا سيّما إن كان ممن يحتاج إلى استيفاه. فتح الباري (1/325).

(9) وتتمّة الحديث: «قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِذَا هُوَ التَّشْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ». مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة (836). أبو داود، كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة (795).

- النَّوويّ (ت676هـ): فيه بيانٌ ما كان عليه رسولُ الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل ورأفته بأمنته وشفقته عليهم، وفيه التخلُّق بخُلُقهِ ' في الرِّفْق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللِّطْف به، وتقريب الصَّواب إلى فهمه. (1)
- تجنب السَّخريّة: إنَّ أيَّ خطابٍ تضمّن سخريّة أو هُزْأً من المُخاطب، قد يكون سبباً في نفوره، أو قطع الصَّلّة معه. قال جابر بن عبد الله ﷺ: «جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ، فقال يا رسول الله: ثيابنا في الجَنّة ننسجها بأيدينا؟ فضحك القوم، فقال رسول الله : ممّ تضحكون؟ من جاهل يسأل عالماً؟ لا يا أعرابي، ولكنّها تشفق عنها ثمار الجَنّة». (2)
- تجنب التَّرويع أو التَّخويف: الشَّعور بالأمن وحصول الطُّمأنينة عامل مهم في التلقّي، قال جرير بن عبد الله: «أتى النَّبيُّ ' برجلٍ فكلمه فجعل تُرعدُ فرائضه، فقال له هوّن عليك فإنّما أنا ابنُ امرأةٍ من فُرَيْشٍ كانت تأكلُ القديدَ في هذه البطحاء. ثمّ تلا جرير: {نحنُ أعلمُ بما يقولونَ وما أنتُ عليهمُ بجبارٍ فنذكرُ بالقرآنِ من يخافُ وعيدٍ} [ق: 45]. (3)
- تجنب الإهمال أو عدم الاكتراث. كان رسول الله ' يُقبِلُ على أصحابه جميعاً، (4) حتّى يظنَّ كلَّ واحد أنّهُ الأحبُّ إلى قلبه؛ حفاظاً على مشاعرهم، ومنعاً من نشوء الكراهية والبغضاء، فعن عمرو بن العاص، قال: كان رسولُ الله ' يُقبِلُ بوجهه وحديثه على أشرِّ القوم، يتألَّفهم بذلك، فكان يُقبِلُ بوجهه وحديثه عليّ، حتّى ظننتُ أنّي خيرُ القوم. (5)
- ومن هذا الباب ما قاله: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر، حتّى تختلطوا بالناس، أجل أن يُخزئهُ». (6)
- العناية بالضعفة: كان رسول الله ' يُبدي اهتماماً كبيراً بالضعفة وأصحاب الحالات الخاصّة؛ لتعويضهم عن الإحساس بالثَّقص، وإشعارهم بأنّ لهم مكانة في الإسلام. فعن سهل بن حنيفٍ ﷺ، قال: «كان رسولُ الله ' يأتي ضُعفاءَ المُسلمين، ويُرؤوهم ويعودُ مرضاهم، ويشهدُ جنازتهم». (7) وهذا زاهرٌ ~، وكان يُهدي للنبيّ ' الهدية من البادية، فيجهره رسولُ الله ' إذا أراد أن يخرج، وكان يقول: «إنّ زاهراً بأبيتنا ونحنُ حاضرتُهُ. وكان رجلاً دميماً، كان النبيّ ' يُحبُّه». (8)

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (20/5).

(2) المعجم الصغير للطبراني (120). قال الهيثمي: رجاله رجال الصَّحيح، غير مجالد بن سعيد وقد وثق. مجمع الزوائد (369/11). ورواه الإمام أحمد والبخاري، عن عبد الله بن عمرو، المسند (7095). مسند البزار (2434). قال الهيثمي: رواه البزار في حديث طويل ورجاله ثقات. مجمع الزوائد (369/11). قال الخطيب البغدادي: وإذا سألَ الفقيه سائلٌ عن مسألة أعجوبة، فلا ينبغي للأصحاب أن يضحكوا منه. وينبغي للمتعلِّمين ألا يردوا على من أخطأ بحضرة العالم، ويتركوا العالم حتّى يكون هو الذي يرد عليه. الفقيه والمتفقه (982).

(3) ابن ماجه، من طريق أبي مسعود، وفيه: (رُسْتُ بِمَلِكٍ) كتاب الأَصاحي، باب القديد (3312). المستدرک، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذَّهبي (3733).

(4) قال حبيب بن أبي ثابت: «من السُّنّة إذا حدّث الرجلُ القوم، أن يُقبِلَ، عليهم جميعاً، ولا يخصُّ أحداً دونَ أحدٍ». مسند ابن الجعد (556).

(5) السُّمائل المحمّدية (327) (ص196). قال الهيثمي: زوَّاه الطَّبْرانيُّ، وإِسْنَادُهُ حَسَنٌ. مجمع الزوائد (15/9). فقد وقع في نفس عمرو بن العاص لَمَّا أقرَّهُ النَّبيُّ ' على الجيش وفيهم أبو بكرٍ وعمرُ أنّه مُقدِّمٌ عنده في المَنزلة عليهم فسأله أيُّ النَّاسِ أحبُّ إليك. فتح الباري (7/26).

(6) البخاري، كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأسُ بالمُساوَةِ والمُناجاة. (5932). مسلم، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه (2184).

(7) المستدرک، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذَّهبي (3735).

(8) وتَمّة الحديث: «أتاه النَّبيُّ ﷺ وهو يبيع متاعه، فأحسنته من خلفه لا يُبصره الرجل، فقال: أزيان، من هذا؟ فعرف النَّبيُّ ﷺ، فجعل لا يألُو حتّى ألصق ظهره بطن النَّبيِّ حين عرفه، وجعل رسولُ الله ﷺ يقول: من يشعري العبد؟ فقال الرجل: يا رسولَ الله، إذا تجديني كاسيداً، فقال النَّبيُّ ﷺ: لكِنَّكَ عندَ الله ليس بكاسيد، أو قال عندَ الله أنتُ عالٍ». عن أنسٍ ﷺ، المسند (12669). مسند أبي يعلى (ص1/100). قال الهيثمي:

رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجال أحمد رجال الصَّحيح. مجمع الزوائد (ص1/100).

المطلب الثالث:

الاهتمام والعناية بالمتلقين

إنَّ من أقوى أسباب توثيق عرى العلاقة بين طرفي العملية التربوية ما يشعر به المتلقي من إبداء المرئي الاهتمام به ورعاية شؤونه والحرص على مصلحته، مثل نفقد الأحوال، والاستشارة، والعدل في التعامل، والاغضاء عن الهفوات، ومراعاة الفوارق، والملاطفة في الخطاب.

– العناية تفقد الأحوال: كان رسول الله ‘ يتفقد أحوال أصحابه، ومن أبرز صورته سؤاله ‘ جابراً ~ عن أحواله؛ حيث استشهد أبوه دفاعاً عن الدين، مُخلفاً سبع بنات، مع حاجته وصغر سنّه، فأراد رسول الله ‘ تسليته، وتقديم يد العون له. (1) قال ابن حجر (ت852هـ): وفيه -أي الحديث- تفقد الإمام والكبير لأصحابه، وسؤاله عمّا ينزل بهم، وإعانتهم بما تيسر من حال أو مال أو دعاء. (2) وعن أبي هريرة ؓ: «أن رجلاً كان يقم المسجد أو امرأة سوداء، فمات أو ماتت ليلاً، فدفنه الصحابة، ففقدتها النبي ‘ أو فقده، فسأل عنها أو عنه، فقالوا مات، قال أفلا كنتم آذنتموني، فكانهم صغروا أمرها أو أمره، فقال لولني على قبره قبرها، فدلوه فصلى عليها». (3)

– الاستشارة: ولها أثر كبير في تأليف القلوب، وتطبيب النفوس، روي عن ابن عباس ؓ، قال: لما نزلت: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران:159] قال رسول الله ‘: «أما إن الله ورَسُولُهُ غَيَّانٍ عَنْهُمَا، وَلَكِنْ جَعَلَهَا اللَّهُ رَحْمَةً لِأُمَّتِي، فَمَنْ شَاوَرَ مِنْهُمْ لَمْ يُعَدَمْ رُشْدًا، وَمَنْ تَرَكَ الْمَشُورَةَ مِنْهُمْ لَمْ يُعَدَمْ عَنَاءً». (4)

– العدل في المعاملة: أرسى الإسلام دعائم العدالة، فدعا إلى إقامة العدل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} [النحل:90]، مع القريب أو البعيد: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} [الأنعام:152]، حتى مع الأعداء: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا} [المائدة:8]. وفي هذا المعنى يقول رسول الله ‘: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه...» (5) ويقول أيضاً: «ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة». (6) وقد ضرب رسول الله ‘ أروع الأمثلة في تحقيق النصفة من نفسه ومع الآخرين، والأمثلة كثيرة ومعروفة. ومن شدة تحريه كان يعتذر إلى الله ﷻ عمّا لا طاقة له به، قالت السيدة عائشة: كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ويقول: «اللهم هذا

(1) عن جابر ~ قال: «كنت مع النبي ﷺ في غزاة فأبطلت بي جملي وأعينا فأتى علي النبي ﷺ، فقال: ما شأنك؟ قلت: أبطأ علي جملي وأعينا فتخلت فنزل يخذه يخجه، ثم قال: اركب فركبت فلقد رأيتني أكنه عن رسول الله ﷺ، قال تزوجت؟ قلت نعم، قال بكرًا أم نبيًا، قلت بن نبيًا، قال أفلا جارية تلاحقها وتلاحقك؟ قلت: إن لي أخوات فأحببت أن أتزوج امرأة تحمهن وتمشطهن وتقوم عليهن، قال: أما إنك قادم فإذا قدمت فالكيس الكيس ثم قال، أتبيع جملك؟ قلت نعم، فاشتره مني بأوقية ثم قدم رسول الله ﷺ قبلي وقدمت بالعداة فجمنا إلى المسجد فوجدته على باب المسجد، قال آلان قدمت؟ قلت نعم، قال فدع جملك فادخل فصل ركعتين فدخلت فصلت فأمر بلال أن يرن لي أوقية، فوزن لي بلال فأزجج في الميزان، فأنطقت حتى ولئت، فقال ادع لي جابراً، قلت آلان يرد علي الجمال ولم يكن شيء أنبعض إلى منه، قال خذ جملك ولك ثمنه». البخاري، كتاب البيوع، باب شراء الدواب والحمر، (1991). مسلم بلفظ مختلف، كتاب المساقاة، باب بيع البعير واشتائه وكوبه (4182).

(2) فتح الباري (321/5).

(3) البخاري، كتاب الصلاة، باب كنس المسجد (446). مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر (956).

(4) قال البيهقي: ويروى بعض هذا المعنى عن الحسن البصري من قوله، وهو مرفوعاً غريب. شعب الإيمان (41/10). وقال ابن حجر: غريب. فيض القدير، المناوي (442/5).

(5) عن عبد الله بن عمر ؓ، البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (2310). مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (2580).

(6) البخاري، عن معقل بن يسار، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح (6732).

قَسَمِي فِيمَا أَمَلِكُ فَلَا تَلْمَنِي فِيمَا تَمَلِكُ وَلَا أَمَلِكُ». يَعْنِي الْقَلْبَ. (1) كما كان يرفض الشهادة على جورٍ. (2) فلا خير في شعارات تُرفع مهما سمّت، إن لم يكن لها نصيب من التطبيق، وعلى الجميع وبنفس الدرجة، في صغار الأمور وكبارها، قال أنس ~: «أَهْدَتْ بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ' إِلَى النَّبِيِّ ' طَعَامًا فِي قِصْعَةٍ فَضَرَبَتْ عَائِشَةُ الْقِصْعَةَ بِيَدِهَا فَأَلْقَتْ مَا فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ' : طَعَامٌ بَطْعَامٍ وَإِنَاءٌ بِإِنَاءٍ». (3) وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ فُرَيْشًا أَهْمَهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمُخْرُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ ... قَالَ ' : إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا». (4)

— الاغضاء عن الهفوات: ليس من الحكمة تتبع السقطات أو المحاسبة على الهفوات، فكل إنسان خطأ، بل من الخير في كثير من الأحوال الصّفح والعمو، (5) من ذلك كما قال رسول الله ﷺ: «أَقْبِلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَنَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ». (6) قال الإمام الشافعي: وَذَوُو الْهَيْئَاتِ الَّذِينَ يُقَالُونَ عَنَرَاتِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ حَدًّا لِلَّذِينَ لَيْسُوا يُعْرِفُونَ بِالشَّرِّ، فَيَزِلُّ أَحَدُهُمُ الزَّلَّةَ. (7) والأولى في مثل تلك الحالات الموازنة بين المصالح، وذلك تبعاً للأحوال والأشخاص، فربما أفضت المواخذة إلى أشد مما يُرجى منها، والعكس صحيح. فعن أنس بن مالك ~، أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ فَطَفِقَ يُعْطِي رَجُلًا مِنْ فُرَيْشِ الْمِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ، فَقَالُوا يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي فُرَيْشًا وَيَدَعُنَا وَسَيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ.... فَقَالَ مَا كَانَ حَدِيثٌ بَلَّغَنِي عَنْكُمْ.... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنِّي أُعْطِي رَجُلًا حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ... (8)

— ومن أقوى ما يؤثر في النفوس ما يجده المتلقي من مقابلة الإساءة بالإحسان، والجهل بالحلم، والشدة باللين، والغلظة بالعمو، قال أنس ﷺ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ' وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَّةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَدَبَهُ جَدْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَانِقِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ أَتَرْتُ بِهِ حَاشِيَةَ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَدْبَتِهِ ثُمَّ قَالَ مَرُّ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَقَتْ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ». (9) قال ابن بطّال (ت449هـ): في الحديث ما جيلٌ عليه من

(1) أبو داود، كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء (2136).

(2) عن النعمان بن بشير قال: «تصدق عليّ أبي ببعض ماله فقالت أمي عمره بنت زواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فانطلق أبي إلى النبي ﷺ ليشهده عليّ صدقتي فقال له رسول الله ﷺ: أفعلت هذا بولدك كلهم، قال لا، قال: اتقوا الله واغلبوا في أولادكم. فرجع أبي فردّ تلك الصدقة». وفي رواية: «إني لا أشهد عليّ جوراً». البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب الإسهاد في الهبة (2447). مسلم، واللفظ له في كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (1623).

(3) الترمذي، وقال: حسن صحيح. كتاب الأحكام، باب من جاء فيمن يكسر له الشيء ما يحكم له من مال الكاسر (1359).

4- البخاري، كتاب الأنبياء، باب أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم (3288). مسلم في الحدود، باب قطع السارق الشريف (1688).

(5) وفي هذا المعنى يقول أبو تمام (ت231هـ) "الدر الفريد وبيت القصيد (53/9)":

لَيْسَ الْعَيْبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمٍ ... لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَعَابِي

(6) روت السيدة عائشة. أبو داود، كتاب الحدود، باب في الحدّ يُشْتَعُ فِيهِ (4377). المسند (25474). قال الإمام النووي: وَأَمَّا السُّرُّ الْمُنْدُوبُ إِلَيْهِ هُنَا فَالْمُرَادُ بِهِ السُّرُّ عَلَى ذَوِي الْهَيْئَاتِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ لَيْسَ مَعْرُوفًا بِالْأَذَى وَالْفُسَادِ، فَأَمَّا الْمَعْرُوفُ بِذَلِكَ فَيَسْتَحْتَجِبُ الْأَيْسُرُ عَلَيْهِ، بَلْ تُرْفَعُ قَضِيَّتُهُ إِلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ إِنْ لَمْ يَخْفَ مِنْ ذَلِكَ مَفْسَدَةً؛ لِأَنَّ السُّرُّ عَلَى هَذَا يُطْعِمُهُ فِي الْإِبْدَاءِ وَالْفُسَادِ، وَاتِّهَاكُ الْحُرْمَاتِ، وَجَسَارَةُ غَيْرِهِ عَلَى مِثْلِ فِعْلِهِ. شرح النووي على مسلم (135/16).

(7) السنن الصغرى، للبيهقي (418/7).

(8) البخاري، كتاب الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ (2978). مسلم كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتَصْبِيرُ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ (2483). قال بدر الدين العيني (ت855هـ): وفيه دلالة على قوة حلمه وشدة صبره على الأذى في النفس والمال، والتجاوز عن جفاء من يُريد تألّفه على الإسلام، وليتأسى به الولاة بعده في حلقه الجميل من الصّفح والإغضاء والدفع بالي هي أحسن. عمدة القاري (312/21).

(9) البخاري، كتاب الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ (2978). مسلم، باب إعطاء من سأل بفخشي وغلظة (2476).

شريف الأخلاق، وعظيم الصبر على جفاء الجهال، والصّح عنهم، والدّفع بالتّي هي أحسن، إلّا ترى أنّه ضحك حين جبهه الأعرابي، ثمّ أمر له بعتاءٍ ولم يواخذه. وقال المهلب بن أبي صفرة (ت435هـ): فيه من صبر السلاطين والعلماء لجهال السّؤال، واستعمال الحلم لهم، والصبر على أذاهم في المال والنفس. (1)

- ويُنَجّه على المرّبي التّحلي بالصّبر، وتحمل الأذى، والتّجاوز عن المسيء، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «قسّم رسول الله ' قسماً فقال رجل: إنّها لقسمة ما أريد بها وجهه الله، قال: فأتيت النبي ' فسارزته، فعصّب من ذلك عصباً شديداً، واحمرّ وجهه حتّى تمّئت أئى لم أذكره له، ثمّ قال: قد أودى موسى بأكثر من هذا فصبر». (2) قال ابن بطّال (ت449هـ): فيه الإعراض عن الأذى إذا لم يُعِين قائلوه، والتّأسي بما تقدّم من الفضلاء في الصبر والحلم. (3)

- مراعاة الفروق والاختلافات: ليس من الحكمة معاملة الجميع بوتيرة الواحدة، بل من الخطأ الفادح عدم مراعاة الفروق والاختلافات، فالتّعامل يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال: من حداثة عهد بالدين، وقوة إيمان أو ضعفه، أو صغر أو كبر، ومن اللين والشدة، والصّفح والعقاب... فمن تُجدي معه طريقة لا تُجديه أخرى، ومن حسنّ معه الرّفق لا تحسنّ معه الشدة، (4) لكنّ لما كانت الطّباع إلى العنّف والحدة أميل كانت الحاجة إلى التّرجيب في جانب الرّفق أكثر؛ فلذلك كثر ثناء الشّرع على جانب الرّفق دون العنّف، وإن كان العنّف في محلّه حسناً، كما أنّ الرّفق في محلّه حسنٌ. (5) قال ابن بطّال (ت449هـ) معلقاً على حديث بول الأعرابي: فدلّ ذلك على استعمال الرّفق بالجاهل - فإنّه بخلاف العالم - وترك اللوم له والتّثريب عليه. (6) وعقد الإمام البخاري باباً بعنوان: "باب مداراة النّاس" أورد فيه أحاديث تشير إلى اختلاف المعاملة باختلاف الأشخاص؛ تحقيقاً لمصلحة أعلى، كأن لا يرتدوا، أو يكونوا سبباً في ردة غيرهم، أو للتدرج معهم بتأليف قلوبهم. (7)

- فرسول الله ' ألان القول لعبيّنة بن حصن؛ (8) لأنّه كما وصفه للسيدة عائشة: "أحمق مطاع، وإنّه على ما تريّن لسيد قومه". (9) إضافة إلى ضعف إيمانه، فيخشى عليه الرّدة، وقد حصلت، أو يكون سبباً في ردة قومه؛ لنفوذ

(1) شرح صحيح البخاري، لابن بطّال (100/9) و(321/5). قال العيني: مطابقتها للرجحة ظاهرة؛ لأنّه أعطى لهذا الأعرابي مع إساءته في حقه تألفاً له. عمدة القاري (73/15).

(2) البخاري، كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى (574/9). مسلم، واللفظ له، كتاب الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه (249/5).

(3) شرح صحيح البخاري، لابن بطّال (322/5).

(4) قال المتنبّي كما في "خزانة الأدب وغاية الأرب للحموي" (200/1):

ووضّع النّدى في موضع السّيف بالاعلا... مضرب كوضّع السّيف في موضع النّدى

(5) إحياء علوم الدين (186/3).

(6) شرح صحيح البخاري (226/9).

(7) المداراة: ملاءمة الناس وحسن صحتهم واحتيمهم لئلا يتفرّوا عنك. النهاية في غريب الأثر (115/2). وقال الحافظ: المراد به الدّفع برؤفي. فتح الباري (528/10). قال ابن بطّال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للنّاس ولين الكلمة وتترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة. وطرف بعضهم أنّ المداراة هي المداهنة فعلاً؛ لأنّ المداراة مندوب إليها والمداهنة محرّمة، والفرق أنّ المداهنة من الدّهان وهو الذي يظهر على الشّيء ويستر باطنه، ومسترها العلماء بأنّه معاشرتة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرّفق بالجاهل في التّعليم وبالفاسيق في التّهي عن فعله، وتترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيّما إذا خيخ إلى تألّفه ونحو ذلك. شرح صحيح البخاري، بتصرف (305/9). ينظر: فتح الباري (528/10).

(8) عن السيدة عائشة، «أنّه استأذن على النبي صلى الله عليه وآله رجل فقال: ائذّنوا له فيمن ابن العشيّرة أو يئسن أخو العشيّرة فلما دخل ألان له الكلام فقلت له يا رسول الله قلت ما قلت ثمّ ألتك له في القول فقال أيّ عابشة إنّ شرّ النّاس منزلة عند الله من تزكّة أو ودعه النّاس اتّقاء فحشيه». البخاري، كتاب الأدب، باب المداراة مع النّاس (578/0). مسلم، كتاب البرّ والصّلة، باب مداراة من يئفّ فحشيه (676/1).

(9) سنن الدارقطني (218/3).

فيهم.⁽¹⁾ كما راعى ' شأن من كان في خلقه حدة، وفي لسانه بذاءة، تألقاً لقلبه، فعندما دخل عليه مخزماً بن نوفل، قال له وهو يناوله ثوب ديباج: «... يا أبا المسور حَبَّأتُ هَذَا لَكَ. قَالَ: فَتَنَظَّرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: رَضِيَ مَخْرَمَةٌ. وكان في خُلُقِهِ شِدَّةٌ». (2) وفي الوقت الذي أعطى فيه رسول الله ' من يخاف على إيمانه، حرَمَ من قَوِي إيمانه؛ لحكمة تقتضي ذلك. قال: «إِنِّي لِأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ حَشْبَةً أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ». (3) كما قسا ' على معاذ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ قُوَّةِ إيمانه. (4)

— المَلَاظِفَةُ وَالْمُبَاسَطَةُ فِي الْكَلَامِ: لَا يَتَحَقَّقُ كِمَالُ الْإِتِّبَاعِ إِلَّا إِذَا وَجِدْتَ الْمَحَبَّةَ، وَلَا يَحْصُلُ ذَلِكَ إِلَّا بِإِزَالَةِ الْكُلْفَةِ بَيْنَ الْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ — مع حفظ مكانة المُعَلِّمِ — وإِضْفَاءُ رُوحِ الدَّعَابَةِ وَالْإِنْبِسَاطِ. (5) قال جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «مَا حَبَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ' مُنْذُ أَسَلَّمْتُ وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا ضَحِكًا». (6) وقد كان رسول الله ' يَنْبَسِطُ مَعَ أَصْحَابِهِ، يَجْلِسُ إِلَيْهِمْ، وَيَسْمَعُ مِنْهُمْ. قَالَ سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: «أَكُنْتُ نُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ' ؟ قَالَ نَعَمْ كَثِيرًا، كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَاةٍ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحُ أَوْ الْعِدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُونَ». (7)

(1) قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: هَذَا الرَّجُلُ هُوَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَلَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ حِينَئِذٍ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، فَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُبَيِّنَ خَالَهُ لِيَعْرِفَهُ النَّاسُ، وَلَا يَغْتَمَّرَ بِهِ مِنْ مَمِّ يَعْرِفُ خَالَهُ. قَالَ: وَكَانَ مِنْهُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَعُدُّهُ مَا دَلَّ عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِهِ، وَارْتِدَّ مَعَ الْمُزْتَدِينَ، وَجِيءَ بِهِ أُسِيرًا إِلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ. شرح التووي على مسلم (144/16). ثم رجع وأسلم وحضر بغض الفُجُوحِ فِي عَهْدِ عُمَرَ ﷺ، وَقِيلَ مَخْرَمَةٌ. فتح الباري، (455/10). ولَمَّا قِيلَ فِي مَخْرَمَةٍ مَا قِيلَ لِمَا كَانَ فِي خُلُقِهِ مِنَ الشَّدَةِ فَكَانَ لِيَذِكُ فِي لِسَانِهِ بَدَاءَةً، وَأَمَّا عُيَيْنَةُ فَكَانَ إِسْلَامُهُ ضَعِيفًا وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ أَهْوَجَ فَكَانَ مُطَاعًا فِي قَوْمِهِ. فتح الباري (529/10).

(2) يُنْظَرُ: شرح التووي على مسلم (148/7). عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَهْدَيْتَ لَهُ أُقْبِيَّةً مِنْ دِينَاجٍ مُزْرَرَةٌ بِالذَّهَبِ فَفَقَسَمَهَا فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَزَلَ مِنْهَا وَاجِدًا لِمَخْرَمَةٍ بِنِ تَوْفَلٍ فَجَاءَ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْمَسُورُ بْنُ مَخْرَمَةَ فَمَامَ عَلَى الْبَابِ فَقَالَ ادْعُهُ لِي فَسَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ صَوْتَهُ فَأَخَذَ قَبَاءً فَتَلَقَّاهُ بِهِ وَاسْتَقْبَلَهُ بِأَرْزَارٍ فَقَالَ يَا أَبَا الْمَسُورِ حَبَّأتُ هَذَا لَكَ...». البخاري، باب قِسْمَةِ الْإِيمَانِ مَا يُعَدُّ عَلَيْهِ وَيُحْتَبَأُ لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْهُ أَوْ غَابَ عَنْهُ (2959). مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بشخصي وغلظة (2478).

(3) قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ﷺ: أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ' زَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ قَالَ فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ' مِنْهُمْ رَجُلًا لَمْ يُعْطِهِ وَهُوَ أَحَبُّهُمْ إِلَيَّ فَكُنْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ' فَسَارَزْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرَاهُ مُؤْمِنًا...». البخاري، كتاب الإيمان، باب إِذَا لَمْ يَكُنْ الْإِسْلَامُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَكَانَ عَلَى الْإِسْتِشْلَامِ أَوْ الْحَوْفِ (1478). مسلم، باب تَأَلَّفِ قَلْبٍ مِنْ بَحَافٍ عَلَى إِيمَانِهِ لِضَعْفِهِ وَالثَّغْيِ عَنِ الْقَطْعِ بِالْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ ذَلِيلٍ قَاطِعٍ (396).

(4) قَالَ جَابِرٌ ﷺ: «أَقْبَلَ رَجُلًا يَبْأَضِخِينَ وَقَدْ حَنَخَ اللَّيْلُ فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي فَتَرَكَ نَاضِخَهُ وَأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذٍ فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ أَوْ النَّسَاءِ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ وَتَلَعَهُ أَنْ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ فَأَتَى النَّبِيَّ ' فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ' : يَا مُعَاذُ أَفَتَأْتَانِ أَنْتَ أَوْ أَقَاتِنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَوْلَا صَلَّيْتُ بِسَبِّحِ اسْمِ رَبِّكَ، وَالشَّمْسُ وَضَحَاها، وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَأَيْتُ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَدُوَ الْحَاجَّةِ». البخاري، كتاب الصلاة، باب مَنْ شَكَا إِمَامَهُ إِذَا طَوَّلَ (673). مسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء (465).

(5) الدَّعَابَةُ: المَلَاظِفَةُ فِي الْقَوْلِ وَالْمَمَازِحَةِ. وَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» يَعْضُدُهُ قَوْلُهُ: «لَا تُنْأَرُ أَحَاكَ وَتَمَّازِحُهُ» وَالْمُجْمَعُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الْمُنْهَبِيَّ عَنْهُ مَا فِيهِ إِفْرَاطٌ أَوْ مُدَاوِمَةٌ عَلَيْهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الشُّغْلِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالتَّفَكُّرِ فِي مُهَمَّاتِ الدِّينِ وَيَقُولُ كَثِيرًا إِلَى قِسْوَةِ الْقَلْبِ وَالْإِبْدَاءِ وَالْحَفْدِ وَشَقُوطِ الْعَهَابَةِ وَالْوَقَارِ، وَالَّذِي يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْمُبَاحُ، فَإِنَّ صَادَفَ مُضْلِحَةً مِثْلَ تَطْيِيبِ نَفْسِ الْمُخَاطَبِ وَمُؤَانَسَتِهِ فَهُوَ مُسْتَحَبٌّ. فتح الباري (526/10). قال الغزالي (ت505هـ): إِنَّ قَدْرَتَ عَلَى مَا قَدَرَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَهُوَ أَنْ تَمْرَحَ وَلَا تَقُولَ إِلَّا حَقًّا، وَلَا تُؤْذِي قَلْبًا، وَلَا تُفَرِّطَ فِيهِ، وَتَقْتَصِرَ عَلَيْهِ أحيانًا عَلَى التَّوَرُّقِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ فِيهِ، وَلَكِنْ مِنَ الْغَلَطِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَخَذَ الْإِنْسَانَ الْمَرَاخَ حِرْفَةً يَواظِبُ عَلَيْهَا، وَيُفَرِّطُ فِيهِ. إحياء علوم الدين (128/3).

(6) الْبُخَارِيُّ، كتاب فضائل الصحابة، باب دِكْرِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَحْلِيِّ ﷺ (3611). مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جرير (2475). قال ابن بطال: وفيه أن لقاء الناس بالتبسم وطلاقة الوجه من أخلاق النبوة، وهو منافع للتكبر، وحالٌ للمودة. شرح صحيح البخاري (193/5).

(7) مسلم، كتاب الصلاة، باب فضيل الجلوس في مُصَلَاةٍ بَعْدَ الصُّبْحِ وَفَضْلِ الْمَسَاجِدِ (1557).

وكان يُبادلهم أطراف الحديث، في الأمور المختلفة، قال خَارِجَةَ بن زَيْد بن ثَابِتٍ، دَخَلَ نَفَرَ عَلَى زَيْدٍ، فَقَالُوا: حَدِّثْنَا عَنْ بَعْضِ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ: وَمَا أَحَدْتُمْكُمْ؟ كُنْتُ جَارَهُ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ أُرْسِلَ إِلَيَّ، فَكَتَبْتُ الْوَحْيَ، وَكَانَ إِذَا ذَكَرْنَا الْآخِرَةَ ذَكَرَهَا مَعَنَا، وَإِذَا ذَكَرْنَا الدُّنْيَا ذَكَرَهَا مَعَنَا، وَإِذَا ذَكَرْنَا الطَّعَامَ ذَكَرَهُ مَعَنَا، فَكُلُّ هَذَا أَحَدْتُمْكُمْ عَنْهُ. (1)

وكان ' يداعبهم، الكبار منهم والصغار، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ~، قال: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَدَاعِبُنَا، قَالَ: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا». (2) وَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخِي لِي صَغِيرٍ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ». (3)

كما كان يُمازحهم؛ لإدخال السرور على قلوبهم، فعن أَنَسٍ ~ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ احْمِلْنِي. قَالَ النَّبِيُّ : «إِنَّا حَامِلُونَكَ عَلَى وَادٍ نَاقَةٍ، قَالَ وَمَا أَصْنَعُ بَوْلِدِ النَّاقَةِ فَقَالَ النَّبِيُّ : « وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النَّوْقَ». (4) إِلَّا أَنْ الْمِزَاحَ يَجِبُ أَلَّا يَخْرُجَ عَنِ إِطَارِ الْحَقِّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « أَنَا زَعِيمٌ بَيِّنَاتٍ فِي رِضِّ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبَيِّنَاتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا». (5)

المطلب الرابع:

التعليم بالقدوة

التعليم بالقدوة أوقع في نفس المتلقي وأبلغ من التلقين المباشر وإصدار الأوامر. ومن سماته: تحلي المرابي بالصفات الفاضلة، وتطبيق ما يدعو إليه، والزجوع عن الخطأ. وإنَّ لِمَا يَتَحَلَّى بِهِ الْمُرَابِي مِنْ صِفَاتِ خُلُقِيَّةٍ وَسُلُوكٍ قَوِيمٍ، أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي نَفُوسِ الْمُتَلَقِّينَ، وَوَقِعَ عَمِيقٌ فِي تَوْجِيهِ سُلُوكِهِمْ، وَقَدْ تَرَبَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَوْقَ عَرْشِ الْأَخْلَاقِ، كَمَا وَصَفَهُ رَبُّهُ: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤]. ومع هذا أمره الله ﷻ بخفض الجناح لأصحابه: {وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٢١٥]، ولين الجانب لهم: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: 159]. وبين القرآن الكريم مقدار محبة رسول الله ، لأصحابه، وعظم شفقتهم بهم، ومدى حرصه عليهم، في آيةٍ واحدةٍ: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨]. بل هو القدوة المطلقة والأسوة الكاملة: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن. مجمع الزوائد (14199).

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب الإيسناط إلى الناس والدعاة مع الأهل (5778). الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح (1990). المسند (8723).

سنة البيهقي الكبرى (20962).

(٣) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، وقال: حسن صحيح (1989). قال الحافظ: في هذا الحديث عدّة فوائد جمعتها ابن القاصّ الفقيه الشافعيّ في جزءه مُعْرَدًا، وذكر في أوّل كتابه أنّ بعض النّاس عاب على أهل الحديث أنّهم يزوّنون أشياء لا فائدة فيها، ومثّل ذلك بحديث أبي عمير هذا، قال: وما ذرى أنّ في هذا الحديث من وُجوه الفقه وفنون الأدب والفائدة ستين وجهاً. لخصتها مستوفياً مفاصده. وفيه: حواز الممازحة وتكرير المزح، وأنها إبّاحة شئمة لا لخصّة، وأنّ مآزحة الصّبيّ الذي لم يمتدّ حائِزَةً... وفيه ترك التّكبر والتّرفع... وفيه حواز الإشبذلال بالغيّن على حال صاحبيها، إذ استندل ﷺ بالهزّن الطّاهر على الهزّن الكامن حتى حكّم بأنّه حين فسأل أنّه عن خزّيه. وفيه التّلفّظ بالصّديق صغيراً كان أو كبيراً، والسؤال عن خاليه... وفيه معاشرة النّاس على قدر عقولهم... وفيه أنّ الكبير إذا زار قوماً واسبى بينهم، فإنّه صافح أنساً، ومآزح أبناً عمير، ونام على فراش أم سليم، وصلى بهم في بيتهم حتى نالوا كملهم من تركته. فتح الباري (526/10).

(٤) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح (5000). السنن الكبرى للبيهقي، باب المزاح (248/10). ونحوه: «أنت عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: يَا أُمَّ فُلَانِ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تُدْخِلُهَا عَجُوزٌ قَالَ: فَوَلَّكَ تَبْكِي فَقَالَ: أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تُدْخِلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {إِنَّا أَنشَأْنَا لَهُنَّ إِنشَاءً} [الواقعة: ٣٥]». عن الحسن مرسلاً. الشّمال للمحمديّ (240). البعث والتشور للبيهقي (346). وأسند ابن الجوزي في "الوفاء بأحوال المصطفى" من

حديث أنس بسند ضعيف. المعنى عن حمل الأسفار (6).

(٥) أبو داود، عن أبي أمامة كتاب الأدب. باب فيخسني الخلق (4802).

اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [الأحزاب: 21]. وقد نقل الصحابة كثيراً من صفاته ' الذالة على حسن خلقه، من ذلك:

- أنه ' كان يعود المريض، ويتبع الجنائز، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، ولقد كان يوم خيبر ويوم فريضة على حمار خِطامه حبل من ليف، وتحتة إكاف من ليف. (1)

- ويجلس بينهم كأنه واحد منهم، قال أنس بن مالك ؓ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ' فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاحَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَكِيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ فَقُلْنَا هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَكِيُّ». (2) قال الحافظ ابن حجر (ت852هـ): «فِيهِ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ مِنْ تَرَكَ التَّكْبِيرِ لِقَوْلِهِ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، أَيْ بَيْنَهُمْ. (3) وَأَقْرَبُ لَفْظُ الظَّهْرِ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ إِقَامَتَهُ بَيْنَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الاستظهار بهم والاستناد إليهم، وتدل التنبيهة على أَنَّ ظَهْرًا مِنْهُمْ قَدَامَهُ وَآخِرَ وَرَاءَهُ، فَهُوَ مَحْفُوفٌ بِهِمْ مِنْ جَانِبَيْهِ. (4)

- ويسعي في حاجة أدناهم، قال أنس: «إِنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِبَيْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ». (5)

- ويصغي لحديثهم، من علا شأنه أو صغره، قال عدي بن حاتم ؓ: لَمَّا بَلَغَنِي مَا يَدْعُو إِلَيْهِ ' مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَمَا قَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنَ النَّاسِ، خَرَجْتُ حَتَّى أَقْدُمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ' الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ وَعِنْدَهُ امْرَأَةٌ وَصَبِيَانٌ، أَوْ صَبِيٌّ. وَذَكَرَ قُرْبَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ '. قال: فعرفت أنه ليس بمالك كسرى ولا قيصر، فسلمت عليه فقال: مَنْ الرَّجُلُ؟ فقلت: عدي بن حاتم. فقام رسول الله '، فانطلق بي إلي بيته، فوالله إنّه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً فكلمته في حاجتها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بمالك. (6)

- ويحرص على جبر خواطرهم، فعن أبي هريرة ~، عن النبي ﷺ قال: «لَوْ دُعِيْتُ إِلَى زِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجِبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ زِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ». (7)

(1) عن أنس ~، المستدرک، وقال: صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه، ووافقه الذہبی (3734).

(2) البخاری، کتاب العلم، باب ما جاء في العلم (63).

(3) فتح الباري (150/1).

(4) عمدة القاري (20/2).

(5) البخاري، كتاب الأدب، باب الكبر، (2724). المسند (11941). قال ابن حجر: وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع للكرامة المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عثم بلفظ الإماء أي أمة كانت، ويقول: «حيث شاءت» أي من الأمكنة. والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمسست منه مستغداً في تلك الحاجة على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبزائه من جميع أنواع الكبر. فتح الباري (490/10).

(6) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالح الشامي (ت942هـ) (ص1/200). ينظر: صحيح ابن حبان (183/16).

(7) البخاري، عن أبي هريرة، كتاب الهبة، باب القليل من الهبة (2429)، وكتاب النكاح، باب من أحب إلى كراع (5178). قال ابن بطال: هذا حض من لأمته على المهادة، والصلوة، والتأليف، والتحاب، وإنما أخرج أنه لا يحقر شيئاً مما يهدى إليه أو يدعى إليه؛ لئلا يمتنع الباعث من المهادة لاحترام المهدي، وإنما أشار بالكراع وفرس الشاة إلى المبالغة في قبول القليل من الهدية. شرح صحيح البخاري (87/7). وفي الحديث دليل على حسن خلقه، وتواضعه، وجبره لقلوب الناس، وعلى قبول الهدية، وإحابة من يدعو الرجل إلى منزله، ولو علم أن الذي يدعو إليه شيء قليل. فتح الباري (246/9). وقال أيضاً: وخصّ الدّرع والكراع بالدّكر ليجمع بين الحفر والحظير؛ لأنّ الدّرع كانت أحبّ إليّ من غيرها، والكراع لا قيمة له، وفي المثل: «أعطي العبد كراعاً يطلب منك ذراعاً». فتح الباري (200/5).

- ويعمل بما يدعو إليه: لا يتحقق التعلیم بالقوة إلا إذا عمل المُعلِّم بما يدعو إليه من قيم أو سلوك. عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ~، قال: «كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ نَتَعَاقِبُ ثَلَاثَةً عَلَى بَعِيرٍ، فَكَانَ عَلِيٌّ وَأَبُو لُبَابَةَ زَمِيلِي رَسُولِ اللَّهِ ، فَكَانَ إِذَا كَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، يَقُولَانِ لَهُ: ارْكَبْ حَتَّى نَمْشِيَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ بِأَعْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمْ، وَلَا أَنْتُمْ بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي». (1) وعن البراءِ ؓ قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ حَتَّى وَارَى التُّرَابَ شَعَرَ صَدْرِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعْرِ وَهُوَ يَرْتَجِرُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ... (2) يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ». (3) قال المهلب بن أبي صفرة (ت435هـ): فيه امتهان الإمام نفسه في التحصين على المسلمين وما يتأسى به الناس ويقفون به، وفيه شرف له، وتحريضٌ وتنشيطٌ، وإثارةُ النيةِ والعزمِ على العملِ والطاعة. (4)

- ويرجع عن الرأي إذا تبين له عدم صوابه: من كانت الحقيقة غايتها، فلن يجد ضيراً من ترك ما ظنه صواباً إلى ما تيقن صحته، أياً كان مصدره، (5) مما يترك أثراً إيجابياً في نفوس المتلقين. قال رافع بن خديج ؓ: قَدِمَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ، فَقَالَ: «مَا تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا كُنَّا نَصْنَعُهُ، قَالَ: لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا، فَتَرَكُوهُ فَفَقَصَتْ... فَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ». وفي رواية: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ». (6) وفي أخرى: «وإن الظن يخطئ ويصيب، ولكن ما قلت لكم قال الله فلن أكذب على الله ﷻ». (7) ولم يجد غضاضة - إذا شك في أمر - من الاستئناس برأي الآخرين، فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِيزَى ؓ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي الْفَجْرِ فَتَرَكَ آيَةَ فَلَمَّا صَلَّى قَالَ أَفِي الْقَوْمِ أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ؟ قَالَ أَبِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ: نُسِخَتْ آيَةُ كَذَا وَكَذَا أَوْ نُسِيتَهَا، قَالَ: نُسِيتَهَا». (8) قال الخطيب البغدادي (ت463هـ): إذا أخطأ الفقيه، وتبين لصاحبه الإخذ عنه خطؤه، فإنَّ الصَّاحِبَ يَنْطَلِفُ فِي رَدِّهِ عَلَيْهِ. (9)

(1) المستدرک، وقال: صحیح الإسناد ولم یخرجاه. ووفقه الذَّهَبِيُّ (2453). صحیح ابن حبان. ذکر إباحتها تعاقب الجماعة البعير الواحد في الغزو عند عدم القدرة على غيره (4733).

(2) وهو قوله: اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَالَيْنَا * فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَبُيِّتَ الْأَقْدَامُ إِنَّ لَأَحْيَيْنَا * إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَتَنَا أَتَيْنَا

(3) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الرجز في الحُرْبِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ فِي حُمْرِ الْحَنْدَقِ (ص ١٠٤٠٠).

(4) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (ص ١٠٤٠٠/١٠٤٠١). وقال أيضاً: فيه ابتداء الإمام وتولية المهنة في التحصين على المسلمين لينشط الناس بذلك على العمل؛ ولذلك ارتجز هذا الرجز ليدكرهم ما يعملون، ولمن يعملون ذلك، ويُعرفهم أنَّ الأمر أعظم خطراً من ابتداهم وتعبهم. (ص ١٠٤٠٠/١٠٤٠١).

(5) مصدقه ما رواه أبو هريرة ؓ، عن رسول الله ﷺ، قال: «الْكَلِمَةُ الْحَكِيمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَيَحِثُّ وَحَدَّهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا». الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة وقال: حديث غريب لا تعرفه إلا من هذا الوجه. وإبراهيم بن الفضل المدني المخرومي يُضَعَّفُ في الحديث من قبل جفطه (2687). ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحكمة (4169). وكما قال الرسول ﷺ لأبي هريرة ؓ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَلِكَ شَيْطَانٌ». البخاري، كتاب بدء الخلق، باب فضل سورة البقرة، (3101).

(6) مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب اثتال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي. (2363). صحيح ابن حبان (23). المعجم الكبير (4424).

(7) ابن ماجه، كتاب الرهون، باب تليح النحل (2470). قوله ﷺ: (من رأي) أي في أمر الدنيا ومعاشها لا على التشريع، فأما ما قاله باجتهاد ﷺ، وزأه شرعاً يجب العمل به، وليس إجازة النخل من هذا النوع. شرح النووي على مسلم (116/15).

(8) المسند (15402). قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (85/2).

(9) الفقيه والمتفقه (984).

الخاتمة:

يُمثّل الجانب الوجداني أحد أهم طرق الاتصال التربوي، إذ لا يُمكن تحييد الانفعالات أو إهمالها، أو إقصاء المشاعر أو استبعادها، وبمقدار إيجابية تفعيل هذا الجانب أو سلبيته يكون انعكاس الأثر على المُتلقين. وقد نال الجانب الوجداني القُدح المُعلّى في هدي النبي، ومنهجه في التربية، وكيف لا يكون كذلك، وهو من عين الله ﷻ ترعاه: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور:48]، ومن قد وصفه ربه ﷻ: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم:4]، وبين صفة بعثته: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:107]،⁽¹⁾ وعظيم محبته لأمته: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:128]، وجليل شفقتة على النَّاس جميعاً: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [الشعراء:3].⁽²⁾

وتتمثّل أهم النتائج في:

إبراز دور الجانب الوجداني في التربية، فالإنسان ما هو إلا جسد وروح تتخللهما أحاسيس ومشاعر، وكلّ له حاجاته. بيان سبق المنهج النبوي وتفوقه على سائر المناهج في العناية بهذا الجانب.

تمّ بعون الله وفضله.

(1) عن أبي هريرة ؓ، قال: قيل: يا رسول الله، اذغ على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعناً، إنما بعثت رحمة». «إني إنما بعثت رحمة، ولم أبعث لعناً». مسلم، كتاب البر البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها. (2599). وعنه ؓ، قال، قال النبي: «إنما أنا رحمة مهداة». شعب الإيمان (528/2). قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد (500/17).

(2) عن ابن عباس ؓ في قوله تعالى: {فَمِنْهُمْ شَقِيحٌ وَسَعِيدٌ} [هود:105]، ونحو هذا من القرآن، قال: إن رسول الله: «كان يجرح أن يؤمن جميع الناس، ويتابعوه على على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الشقاء في الذكر الأول»، ثم قال عز وجل: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}. المعجم الكبير للطبراني (13025). قال الهيثمي: زوارة الطبراني، ورحاله وتتموا، إلا أن علي بن أبي طلحة قال: لم يسمع من ابن عباس. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (85/7).

المراجع:

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، دار الوطن، الرياض، ط/1(1420-1999).
- إجابة السائل شرح بغية الأمل، مُحَمَّد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تح: حسين بن أحمد السياغي و د. حسن الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/1 (1986).
- إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
- أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، دار الفكر، دمشق.
- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ابن عبد البر، تح: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ط/1(2000).
- إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت (1973).
- البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، تح: د. محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1(1421-2000).
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الشيخ عبدالرحمن حبنكه الميداني، دار القلم دمشق.
- البيان والتبيين، الجاحظ، تح: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط/1(1968).
- تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تحفة الأحوذى، المباركفوري، دار الكتب العلمية.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب (1990).
- التعريفات، للجرجاني، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/1 (1405).
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تح: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط/1 (1410هـ).
- التيسير بشرح الجامع الصغير، الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط/3 (1408هـ 1988م).
- جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير، تح: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، ط/1.
- الجامع الصحيح، للبخاري، تح: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، ط/3 (1406-1987).
- جامع الأحاديث، السيوطي، تح: خالد عبد الفتاح شبل، دار الكتب العلمية، (2001).
- حاشية العطار على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1(1420 - 1999).
- خزانة الأدب وغاية الأرب للحموي، ت: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط/1(1987).
- روح المعاني، الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- سُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصّالحي الشّامي، تح عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1(1414-1993).
- سنن التّرمذي، تح: أحمد شاکر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن الدارقطني، تح: مجدي بن منصور بن سيد الشوري، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- سنن الدارمي، دار الكتاب العربي، تح: خالد العلمي، بيروت، ط/1(1407).
- سنن أبي داود، دار الفكر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- السنن الصّغرى، البيهقي، تح: عبد المعطي قلججي، دار الكتب العلمية، بيروت (1410هـ).
- السنن الكبرى البيهقي، تح: عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة (1414-1994).
- سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي (207-275هـ) دار الفكر، بيروت.
- سنن النسائي الكبرى، تح: د. عبدالغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت (1411-1991).
- سنن النسائي (المجتبى) مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط/2تح: عبدالفتاح أبو غدة.
- سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة.
- شرح الزّرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد العظيم الزّرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت (1411هـ).
- شرح ابن بطّال، علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تح: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط/2(1423-2003).
- شرح التبصرة والتذكرة، تح: د. ماهر ياسين الفحل، مكتبة المشكاة.
- شرح مختصر الروضة، نجم الدين الطّوفي، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط/1(1407-1987).
- شعب الإيمان، البيهقي، تح: محمد السعيد بسيوني خليل، دار الكتب العلمية، بيروت (1410).
- الشّمائل الموحّدية والخصائل المصطفوية، التّرمذي، تح: سيد عباس الجلبي مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط/1(1412هـ).
- صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط/2(1414-1993).
- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، تح: محمد فؤاد عبد الباقي.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، ط/2(1415).
- عبقرية محمد ﷺ، عباس محمود العقاد، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/2(1995م).
- عيون الأخبار، ابن قتيبة الدّيّوريّ (213-276هـ)، دار الكتب المصرية.

- غريب القرآن. الراغب الأصفهاني، تح: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط/2 (1420-1999).
- فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت (1379).
- الفصول في الأصول، الجصاص، تح: د. عجيل جاسم، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط/1 (1405).
- الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، تح: عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط/2 (1421هـ).
- فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط/1 (1356هـ).
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (1301).
- كشف المشكل من حديث الصحّاحين، ابن الجوزي، تح: علي حسين البواب دار الوطن، الرياض (1418-1997).
- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، بيروت، ط/1.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيئتي، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت (1407).
- المُحدّث الفاصل بين الراوي والواعي، الرامهرمزي، دار الفكر، بيروت، (1404هـ)، ط/3، ت: د. محمد عجاج الخطيب.
- مدارج السالكين، ابن قَيِّم الجوزية، تح: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/2 (1393-1973).
- المستدرک، الحاكم، تح: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط/1.
- المسند، أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط/2 (1420-1999).
- مسند البزار، أبو بكر البزار، تح: د. محفوظ الرّحمن، مؤسسة علوم القرآن، بيروت (1409هـ).
- مسند أبي يعلى الموصلي، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط/1.
- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، أبو نُعيم، الأصبهاني، تح: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1 (1417-1996).
- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.
- مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر ابن أبي شيبة، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرّشيد، ط/1 (1409).
- مصنف عبد الرّزاق الصّنعاني، تح: حبيب الرّحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/2 (1403).
- المعجم الأوسط، الطّبراني، تح: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة.
- المعجم الصّغير، الطّبراني، تح: محمد شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/1 (1405-1985).
- المعجم الكبير، الطّبراني، مكتبة العلوم والحكم، تح: حمدي السّلفي، الموصل، ط/2 (1404-1983).
- معجم الفروق اللّغوية، أبو هلال العسكري، مؤسسة النّشر الاسلامي، قم، إيران.

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (1979-1399).
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار الدعوة، تح: مجمع اللغة العربية، القاهرة..
- معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني، تح: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض (1419).
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، بهامش إحياء علوم الدين. للحافظ العراقي، دار المعرفة، بيروت.
- المفهم لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِصِ كِتَابِ مُسْلِمَ، أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ. تح: محيي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق، ط/2 (1420هـ).
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط/2(1392).
- الموطأ، الإمام مالك، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي، مصر.
- النّهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري، تح: طاهر أحمد الزّاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت (1979-1399).